بحث بعنوان

الأدلّة الكونيّة على وحدانيّة الله وقُدرَته من خلال سورة الواقعة

إعداد الدكتور /عمر عبد العزيز بوريني
أستاذ التفسير المساعد بجامعة طيبة
المملكة العربية السعودية – المدينة المنورة

الملخص

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن هذا البحث يهدف إلى بيان (الأدلة الكونية على وحدانية الله وقدرته من خلال سورة الواقعة)، والوقوف على الأسرار البلاغية لهذه الأدلة، وكشف معانيها، من خلال بيان سر العلاقة بينها، واستنباط ما فيها من ارتباط وثيق، ونظام محكم دقيق، بما ينبئ عن صدق القرآن الكريم، وأنه تنزيل من رب العالمين.

إن قضية توحيد الله وبيان قدرته في الكون، من القضايا الكبرى التي تناولها القرآن الكريم بكل سوره وآياته، وأحكامه وتشريعاته، والقرآن الكريم – وهو يدعو الناس إلى توحيد الله تعالى، ولفت نظرهم إلى مظاهر قدرته في الكون – لم يترك وسيلة إلا واتبعها معهم من ترغيب وترهيب، وعتاب وتأنيب، وحوارات هادئة، وبراهين ساطعة، وأدلة نقلية، وأخرى كونية، ومشاهد محسوسة، وحجج ملموسة، مع ما فيها من بيان لعظمة الله وقدرته، وإظهار لفضله ومنّته، بما لا يدع مجالاً لذي لُبٍّ عاقل أن ينكرها، أو يشكِّك فيها.

ولعظم هذه القضية فقد اخترت الآيات (57-80) من سورة الواقعة، هذا المقطع الذي يتحدث عن الأدلة الكونية على وحدانية الله وقدرته، وقمت بتقسيم هذه الآيات إلى ثلاثة موضوعات، كل موضوع يحمل اسم مبحث، فكان المبحث الأول للحديث عن مقدمات لسورة الواقعة، وقسمته إلى ثلاثة مطالب: الأول: اسم السورة وفضلها. الثاني: مناسبتها لما قبلها. الثالث: موضوعاتها. وكان المبحث الثاني بعنوان: الأدلة الكونية على وحدانية الله وقدرته، قسمته إلى أربعة مطالب. كل مطلب هو دليل على وحدانية الله وقدرته، فالمطلب الأول: دليل خلق الإنسان. الثاني: إنبات الزرع. الثالث: إنزال الماء. الرابع: إنشاء نار الدنيا. أما المبحث الثالث فكان بعنوان: تعقيبات على الأدلة، وجاء في مطلبين: الأول: دعوة للتسبيح. الثاني: صدق القرآن.

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على الاستقراء والتحليل والترجيح. حيث قمتبتناول تلك الآيات بالشرح والتوضيح، مستخرجاً ما فيها من معاني لغوية، ونكات بلاغية، وأحكام فقهية، بالقدر الذي يثري البحث، ولا يخرجه عن موضوعه، مستيعناً في ذلك بأقوال المفسرين، نقلاً وشرحاً، وتوضيحاً وترجيحاً، مع نسبة الأقوال إلى قائليها، وتخريج الأحاديث من مظانّها، وبيان درجتها من الصحة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

ولم أجد أحداً – فيما بحثت – قام بإفراد هذه الآيات بالتفسير التحليلي، وجمع أقوال المفسرين فيها، للوقوف على معانيها، واستنباط ما فيها من دلائل التوحيد والقدرة الإلهية.

سائلاً الله تعالى التوفيق والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، المتفرّد بعنوان الوحدانية على الخلق أجمعين، خالِقِ الإنسانِ في أحسن تقويم، ومُنبِتِ الزرعِ في أجمل تنظيم، ومُنزِلِ الماءِ من السماء نعمةً للشاكرين، وخالِقِ النارِ من الشجر تذكرةً ومتاعاً للمقوين، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين،

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن قضية توحيد الله تعالى من القضايا الكبرى التي اعتنى بها القرآن الكريم في جميع سوره المكية والمدنية، فلا تكاد تخلو سورة واحدة منه إلا وتناولت هذه القضية، خاصة وأنها عنوان رسالات الأنبياء والرسل جميعاً، بل هي المحور الأساس الذي أرسل الله من أجله الأنبياء والرسل، فكانت الحد الفاصل بين الحق والباطل، أو بين الإيمان والكفر.

إن القرآن الكريم – وهو يدعو الناس إلى توحيد الله تعالى، ولفت نظرهم إلى مظاهر قدرته في الكون – لم يترك وسيلة إلا واتبعها معهم من ترغيب وترهيب، وعتاب وتأنيب، وحوارات هادئة، وبراهين ساطعة، وأدلة نقلية، وأخرى كونية، ومشاهد محسوسة، وحجج ملموسة، مع ما فيها من بيان لعظمة الله وقدرته، وإظهار لفضله ومنّته، بما لا يدع مجالاً لذي لُبٍّ عاقل أن ينكر شيئاً منها، أو أن يشكِّك بشيء فيها، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

يتناول هذا البحث وسيلة من تلك الوسائل المتبعة في القرآن الكريم لإثبات وحدانية الله تعالى وإظهار قدرته، وفي واحدة من السور المكية التي عنيت بهذه القضية، فكان بعنوان:

الأدلة الكونيّة على وحدانية الله وقدرته من خلال سورة الواقعة

تناولت في هذا البحث المقطع الخاص بهذا الموضوع، وهو الآيات (57–80) من سورة الواقعة، وقسمته إلى ثلاثة مباحث، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة.

جاء المبحث الأول بعنوان: (مقدمات للسورة) وتضمن ثلاثة مطالب، الأول منها ذكرت فيه اسم السورة وفضلها وما ورد فيها من آثار، مستدلاً على ذلك بالأحاديث مخرَّجة من مظانّها. المطلب الثاني: تحدثت فيه عن مناسبة السورة لما قبلها، مستعيناً في ذلك بأقوال المفسرين. المطلب الثالث: جعلته للحديث عن الموضوعات التي تناولتها السورة.

أما المبحث الثاني فجاء بعنوان: (الأدلة الكونية على وحدانية الله تعالى وقدرته) وجعلته في أربعة مطالب. المطلب الأول: خلق الإنسان. المطلب الثاني: إنبات الزرع. المطلب الثالث: إنزال الماء. المطلب الرابع: إنشاء نار الدنيا.

أما المبحث الثالث فكان بعنوان: (تعقيبات على الأدلة) وجاء في مطلبين: الأول دعوة للتسبيح. الثاني: صدق القرآن الكريم.

ثم الخاتمة وقد أودعت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

1- بيان عظمة الله وقدرته ووحدانيته من خلال الأدلة الكونية المشاهدة المحسوسة في سورة الواقعة.

2- بيان بلاغة النظم القرآني في حديثه عن هذه الأدلة.
3- الوقوف على بعض الحِكَم والأحكام المستنبطة من الآيات (57-80) من سورة الواقعة.
4- تخريج الأحاديث والآثار الواردة في سورة الواقعة وفضلها، وبيان درجتها من الصحة.
5- ذكر أهم أقوال المفسرين الواردة في تفسير الآيات موضوع البحث، جمعاً وتوثيقاً وتحقيقاً وتنقيحاً وترجيحاً

الدراسات السابقة:

لم أقف – فيما بحثت – على دراسة استوفت الحديث عن الأدلة الكونية على وحدانية الله وقدرته في سورة الواقعة، وجمع أقوال المفسرين وتحقيقها وتنقيحها، وإنما غاية ما وجدته كان حديثاً عاماً عن أدلة وحدانية الله ووجوده، دون التفسير التحليلي لهذه الأدلة، ودون الوقوف على ما اشتملت عليه هذه الآيات من أسرار البلاغة، والحِكم، والأحكام، المبثوثة في كتب التفسير.

ولقد جعلت من كتب التفسير – قديمها وحديثها – مادة لي في هذا البحث، فأفدت منها إفادة كبيرة في جمع المادة العلمية لهذا البحث، ولم أكن مجرّد ناقل فحسب، وإنما ناقل وناقد، بأسلوب علمي يقوم على التمحيص والتحقيق، والترجيح والتدقيق.

مشكلة البحث:

إن المشكلة التي يعالجها هذا البحث تكمن في الإجابة عن مجموعة من الأسئلة منها: ما الأدلة على توحيد الله وقدرته في سورة الواقعة ؟ ما السر في ترتيب هذه الأدلة كما جاءت في الآيات ؟ ما العلاقة بين هذه الأدلة ؟ هل وردت أحاديث صحيحة في فضل سورة الواقعة ؟ كيف نستدل على وحدانية الله من خلال الأدلة الكونية ؟

حدود البحث:

إن موضوع الأدلة على وحدانية الله وقدرته موضوع كبير، وهو أصل دعوة الأنبياء والرسل جميعاً، ولا توجد سورة في القرآن الكريم إلا وتحدثت عنه، لذلك كان لا بد من تحديد البحث بالآيات (57-80) من سورة الواقعة، فالبحث مقصور على هذه الآيات من هذه السورة فقط.

منهجية البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على الاستقراء والتحليل والترجيح.

وكان عملي في ذلك كله أن قمت بتفسير الآيات (57-80) من سورة الواقعة آية آية، وقمت بتقسيمها إلى عنوانات تتناسب مع الآيات التي وضعت لها، ثم تناولت تلك الآيات بالشرح والتوضيح، مستخرجاً ما

فيها من معاني لغوية، ونكات بلاغية، وأحكام فقهية، بالقدر الذي يثري البحث، ولا يخرجه عن موضوعه، مستيعناً في ذلك بأقوال المفسرين، نقلاً وشرحاً، وتوضيحاً وترجيحاً، مع نسبة الأقوال إلى قائليها، وتخريج الأحاديث من مظانّها، وبيان درجتها من الصحة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

خطة البحث

المبحث الأول: مقدمات لسورة الواقعة

المطلب الأول: اسم السورة وفضلها وما ورد فيها

المطلب الثاني: مناسبتها لما قبلها

المطلب الثالث: موضوعاتها

المبحث الثاني: الأدلة الكونية على وحدانية الله وقدرته

المطلب الأول: خلق الإنسان

المطلب الثاني: إنبات الزرع

المطلب الثالث: إنزال الماء

المطلب الرابع: إنشاء نار الدنيا

المبحث الثالث: تعقيبات على الأدلة

المطلب الأول: دعوة للتسبيح

المطلب الثاني: صدق القرآن الكريم

سائلاً الله تعالى أن يوفقني ويهديني سواء السبيل، وأن يقيل عثرتي، ويغفر زلّتي، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول: مقدمات لسورة الواقعة

المطلب الأول: اسم السورة وفضلها وما ورد فيها

سورة الواقعة سورة مكية، وعدد آياتها ست وتسعون آية، سميت بذلك لتحقق وقوعها، ولكثرة ما يقع فيها من شدائد، واسمها هذا توقيفي لم يعرف لها اسم غيره.

قال القرطبي: " وسميت واقعة لأنها تقع عن قرب، وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدائد "[1].

---

(1) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 17، ص 194، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية،

وقال ابن كثير: " الواقعة: من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها، كما قال: (فيومئذ وقعت الواقعة) [الحاقة: 15] "[1].

وقال الشوكاني: " وسميت واقعة لأنها كائنة لا محالة، أو لقرب وقوعها، أو لكثرة ما يقع فيها من الشدائد "[2]

وقال ابن عاشور: " سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْوَاقِعَةُ بِتَسْمِيَةِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... وَكَذَلِكَ سُمِّيَتْ فِي عَصْرِ الصَّحَابَةِ... وَهَكَذَا سُمِّيَتْ فِي الْمَصَاحِفِ وَكُتُبِ السُّنَّةِ فَلَا يُعْرَفُ لَهَا اسْمٌ غَيْرُ هَذَا "[3].

وقد وردت أحاديث وآثار كثيرة في هذه السورة، منها ما هو صحيح، ومنها ما هو ضعيف، ومما ورد في هذه السورة:

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: " مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَداً "[4].

1384هـ.

(1) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ج 7، ص 513، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ.

(2) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ج 5، ص 176، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1414 هـ.

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، ج 27، ص 279، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.

(4) رواه جماعة من المحدّثين، وأجمعوا على ضعفه.

انظر: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت 458هـ)، **شعب الإيمان**، ج4، ص 119، ح 2268 – 2270. حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، 1423 هـ.

وابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ)، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ج 5، ص 269، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري، الناشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387 هـ.

والمنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (ت 656هـ)، **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، ج 2، ص 294، ح 2452، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ.

والحديث ضعفه الألباني، وذكره في سلسلة الأحاديث الضعيفة.

عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " سورة الواقعة سورة الغِنى، فاقرؤوها وعلِّموها أولادَكم "[1].

وعنه أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " علِّموا نساءَكم سورة الواقعة، فإنها سورة الغِنى "[2].

قلت: ولا أدري ما العلاقة بين هذه السورة وبين الغنى.

وقد حاول أبو حامد الغزالي أن يبين هذه العلاقة، فقال: " واعلم أني سألت بعض مشايخنا عن ما يعتاده أولياؤنا من قراءة سورة الواقعة في أيام العسرة، أليس المراد بذلك أن يدفع الله تلك الشدة عنهم، ويوسع عليهم بشيء من الدنيا، على ما جرت به العادة، فكيف تصح إرادة متاع الدنيا بعمل الآخرة ؟ فقال في جوابه رحمه الله كلاماً معناه: أن المراد منهم أن يرزقهم الله تعالى قناعة أوقوتاً يكون لهم عُدَّة على عبادة الله، وقوة على درس العلم، وهذه من جملة إرادات الخير دون الدنيا "[3].

قلت: وهذا جواب لا يشفي الغليل، ولا يداوي العليل، لأن هذا الكلام غير خاص بسورة الواقعة، بل ثبت ضعف جميع الأحاديث والروايات الواردة في هذا المعنى، ثم إن هناك تعارضاً بين هذه الأحاديث الضعيفة وبين الحديث الصحيح –كما سيأتي قريباً – " شيبتني هود والواقعة... "، فكيف تكون سورة

انظر: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ)، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، ج 1، ص 457، ح 289، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1412 هـ. والحديث مروي أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال عنه الألباني: موضوع.انظر: الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، ج 1، ص 458، ح 290.

(1) ذكره السيوطي في الدر المنثور، وعزاه لابن مردويه.

انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ج 8، ص 2، دار الفكر، بيروت.

وضعّفه الألباني في **السلسلة الضعيفة**، ج 8، ص 337، ح 3880.

وذكره العجلوني في **كشف الخفاء**.

انظر: العجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (ت 1162هـ)، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، ج 1، ص 525، ح 1501، تحقيق عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 1420هـ.

(2) ذكره السيوطي في **الدر المنثور**، ج 8، ص 2، وعزاه للديلمي.

وضعّفه الألباني في **السلسلة الضعيفة**، ج 8، ص 337، ح 3880.

وذكره العجلوني في **كشف الخفاء**، ج1، ص 525، ح 1501.

(3)الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت505هـ)، **منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين**، تحقيق محمود مصطفى حلاوي، ص 284، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1409 هـ.

الواقعة سبباً في الغنى من الفقر، وفي الوقت نفسه تكون سبباً في المشيب ؟

وقد حاول أبو حامد الغزالي التمسك بهذا المعنى استدلالاً بما ورد في ذلك من الأحاديث والآثارفقال: " واعلم أن هذه السيرة، أعني قراءة هذه السورة عند الشدة في أمر الرزق والخصاصة إنما هو شيء وردت به الأخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة رضي الله عنهم، وحتى أن ابن مسعود رضي الله عنه حين عوتب فى أمر ولده، إذ لم يترك لهم من الدنيا شيئاً، قال: " لقد خلَّفتُ لهم سورة الواقعة "[1].

قلت: وقد ثبت ضعف هذه الأدلة، فلا يتمسك بها.

عن جابر بنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ كَنَحْوٍ مِنْ صَلَاتِكُمُ الَّتِي تُصَلُّونَ الْيَوْمَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُخَفِّفُ، كَانَتْ صَلَاتُهُ أَخَفَّ مِنْ صَلَاتِكُمْ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ الْوَاقِعَةَ وَنَحْوَهَا مِنَ السُّوَرِ "[2].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَاكَ قَدْ شِبْتَ. قَالَ: " شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ "[3].

عن عُقبةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) [الواقعة: 74] قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ» فَلَمَّا نَزَلَتْ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) [الأعلى: 1] فَقَالَ:

---

(1)الغزالي، **منهاج العابدين**، ص 285.

(2) رواه أحمد في **المسند**. انظر: أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، ج 34، ص 504، ح 20995، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ. وعلق عليه الشيخ شعيب الأرناؤوط بقوله: " صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن ".

ورواه الحاكم في **المستدرك على الصحيحين**.

انظر: الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت 405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، ج 1، ص 366، ح 875، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 هـ.

وقال الحاكم: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَإِنَّمَا خَرَّجَ مُسْلِمٌ بِإِسْنَادِهِ: كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ بِالْوَاقِعَةِ ". ووافقه الذهبي. قلت: ولم أجد هذه الرواية التي ذكرها الحاكم – فيما بحثت – في صحيح مسلم.

(3) رواه الحاكم في **المستدرك على الصحيحين**، ج 2، ص 374، ح 3314.

وقال الحاكم: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ " ووافقه الذهبي.

وصححه الألباني في **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، ج 2، ص 639، ح 955، مكتبة المعارف، الرياض، 1425 هـ.

«اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ "[1].

عَن سُلَيْمَان التَّيْمِيّ، قَالَ: قَالَت عَائِشَة للنِّسَاء: " لَا تعجز إحداكن أَن تقْرَأ سُورَة الْوَاقِعَة " [2].

عن أنس قال: " من قرأ سورة الواقعة وتعلَّمها لم يُكتَب من الغافلين، ولم يفتقر هو وأهل بيته "[3].

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ كُتِبَ لَيْسَ مِنَ الْغَافِلِينَ "[4].

عن مسروق قال: " من أراد أن يتعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار، ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة فليقرأ سورة الواقعة "[5].

وهذا القول من مسروق يُحمَل على المبالغة، لما في هذه السورة من أمور تستحق التدبر.

قال الذهبي: " هَذَا قَالَهُ مَسْرُوْقٌ عَلَى المُبَالَغَةِ, لِعِظَمِ مَا فِي السُّوْرَةِ مِنْ جُمَلِ أُمُوْرِ الدَّارَيْنِ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ: فليقرأ سورة الواقعة، أي: يقرأها بتدبير وتفكير وَحُضُوْرٍ, وَلاَ يَكُنْ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً "[6].

---

(1)رواه الحاكم في **المستدرك على الصحيحين**، ج 2، ص 519، ح 3783.

وقال الحاكم: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " ووافقه الذهبي.

ورواه أبو داود في **سننه**.

انظر: أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت 275هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ج 2، ص 151، ح 869، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430 هـ.

وقال المحقق: " إسناده حسن " وهو كما قال بالنظر إلى مجموع طرقه وشواهده.

وضعفه الألباني في **ضعيف أبي داود**، ج 1، ص 337، مؤسسة غراس، الكويت، الطبعة الأولى، 1423 هـ.

(2)انظر: السيوطي، **الدر المنثور**، ج 8، ص 3، وعزاه إلى أبي عبيد موقوفاً.

(3)قال الألباني في **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، ج 1، ص 459، ح 291: " موضوع، أورده السيوطي في "ذيل الأحاديث الموضوعة" (277) من رواية أبي الشيخ بسنده عن عبد القدوس بن حبيب عن الحسن عن أنس رفعه.وقال السيوطي: عبد القدوس بن حبيب متروك ".

(4) ذكره الواحدي بسنده في تفسيره.انظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، ج 4، ص 231، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

(5) ذكره الواحدي بسنده في تفسيره، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، ج 4، ص 231. وهذا أثر صحيح موقوف على مسروق.

(6) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، ج 5، ص 27، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ.

المطلب الثاني: مناسبتها لما قبلها

ذكر المفسرون وجوهاً كثيرة في مناسبة هذه السورة (الواقعة) لما قبلها (سورة الرحمن)، من ذلك:

ما ذكره الرازي فقال: " أَمَّا تَعَلُّقُ هَذِهِ السُّورَةِ بِمَا قَبْلَهَا، فَذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ أَحَدُهَا: أَنَّ تِلْكَ السُّورَةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى تَعْدِيدِ النِّعَمِ عَلَى الْإِنْسَانِ وَمُطَالَبَتِهِ بِالشُّكْرِ وَمَنْعِهِ عَنِ التَّكْذِيبِ كَمَا مَرَّ، وَهَذِهِ السُّورَةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى ذِكْرِ الْجَزَاءِ بِالْخَيْرِ لِمَنْ شَكَرَ وَبِالشَّرِّ لِمَنْ كَذَّبَ وَكَفَرَ. ثَانِيهَا: أَنَّ تِلْكَ السُّورَةَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّنْبِيهَاتِ بِذِكْرِ الْآلَاءِ فِي حَقِّ الْعِبَادِ، وَهَذِهِ السُّورَةُ كَذَلِكَ لِذِكْرِ الْجَزَاءِ فِي حَقِّهِمْ يَوْمَ التَّنَادِ. ثَالِثُهَا: أَنَّ تِلْكَ السُّورَةَ سُورَةُ إِظْهَارِ الرَّحْمَةِ وَهَذِهِ السُّورَةُ سُورَةُ إِظْهَارِ الْهَيْبَةِ عَلَى عَكْسِ تِلْكَ السُّورَةِ مَعَ مَا قَبْلَهَا، وَأَمَّا تَعَلُّقُ الْأَوَّلِ بِالْآخِرِ فَفِي آخِرِ تِلْكَ السُّورَةِ إِشَارَةٌ إِلَى الصِّفَاتِ مِنْ بَابِ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَفِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى الْقِيَامَةِ وَإِلَى ما فيها من المثوبات والعقوبات، وكل واحد مِنْهُمَا يَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ اسْمِهِ وَعَظَمَةِ شَأْنِهِ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعِزِّ

سُلْطَانِهِ "[1].

قلت: ولا أرى فرقاً بين ما ذكره الرازي في الوجه الأول وبين ما ذكره في الوجه الثاني، إذ المعنى واحد، على أن هذين الوجهين غيرُ مسلّمين، لأن سورة الرحمن قد ذكرت تعديد النعم على العباد، وذكرت جزاء من شكر هذه النعم ومن كفر بها، وكذلك الحال في سورة الواقعة، فلم تستقل سورة الرحمن بذكر النعم، ولم تستقل سورة الواقعة بذكر الجزاء

أما ما ذكره الرازي في الوجه الثالث فهو صحيح، لأن الغالب على سورة الرحمن الرحمة، والغالب على سورة الواقعة الهيبة.

ما ذكره أبو حيان فقال: " وَمُنَاسَبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا تَضَمُّنُ الْعَذَابِ لِلْمُجْرِمِينَ، وَالنَّعِيمِ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَفَاضَلَ بَيْنَ جَنَّتَيْ بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَنَّتَيْ بَعْضٍ بِقَوْلِهِ (وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ) [الرحمن:62]، فَانْقَسَمَ الْعَالَمُ بِذَلِكَ إِلَى كَافِرٍ وَمُؤْمِنٍ مَفْضُولٍ وَمُؤْمِنٍ فَاضِلٍ وَهَكَذَا جَاءَ ابْتِدَاءُ هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ كَوْنِهِمْ أَصْحَابَ مَيْمَنَةٍ، وَأَصْحَابَ مَشْأَمَةٍ، وَسِبَاقٍ وَهُمُ الْمُقَرَّبُونَ، وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ وَالْمُكَذِّبُونَ الْمُخْتَتَمُ بِهِمْ آخِرُ هَذِهِ السُّورَةِ "[2].

قلت: وهذا يؤيد ما كنت رددت به على الرازي، وأن السورتين كلتيهما تضمنت العذاب للمجرمين، والنعيم للمؤمنين.

ما ذكره البقاعي فقال: " لما صنف سبحانه الناس في تلك إلى ثلاث أصناف: مجرمين وسابقين ولاحقين، وختم بعلة ذلك وهو أنه ذو الانتقام والإكرام، شرح أحوالهم في هذه السورة وبين الوقت الذي يظهر فيه إكرامه وانتقامه بما ذكر في الرحمن غاية الظهور فقال بانياً على ما أرشده السياق إلى أن تقديره: يكون ذلك كله كوناً يشترك في علمه الخاص والعام: (إذا وقعت الواقعة) [الواقعة:1] "[3].

قلت: وفي هذا الوجه تكلف واضح، إذ لم تذكر سورة الرحمن شيئاً عن السابقين واللاحقين، ولم تختم بأن الله ذو انتقام، بل ختمت بأن الله ذو الجلال والإكرام، وما أعده الله من النعيم لأهل الجنة.

---

(1) انظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ)، **مفاتيح الغيب أو التفسير** الكبير، ج 29 ، ص 384، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ.

(2) أبو حيان، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**،ج 10، ص 75، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ.

(3)البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج 19، ص 196، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

1- ما ذكره الألوسي فقال: "وهي وسورة الرحمن متواخية في أن في كل منهما وصف القيامة والجنة والنار "[1].

قلت: وهذا وجه واضح في التناسب بين السورتين.

ما نقله الألوسي في تفسيره فقال: " وقال بعض الأجلة انظر إلى اتصال قوله تعالى: إِذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ [الواقعة:1] بقوله سبحانه: (فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ) [الرحمن: 37] وأنه اقتصر في الرحمن على ذكر انشقاق السماء، وفي الواقعة على ذكر رج الأرض، فكأن السورتين لتلازمهما واتحادهما سورة واحدة فذُكر في كلٍّ شيء، وقد عكس الترتيب فذكر في أول هذه ما في آخر تلك، وفي آخر هذه ما في أول تلك، فافتتح في سورة الرحمن بذكر القرآن، ثم ذكر الشمس والقمر، ثم ذكر النبات، ثم خلق الإنسان والجان، ثم صفة يوم القيامة، ثم صفة النار، ثم صفة الجنة، وهذه ابتداؤها بذكر القيامة، ثم صفة الجنة، ثم صفة النار ثم خلق الإنسان، ثم النبات، ثم الماء، ثم النار، ثم ذكرت النجوم ولم تذكر في الرحمن كما لم يذكر هنا الشمس والقمر، ثم ذكر الميزان فكانت هذه كالمقابلة لتلك وكالمتضمنة لرد العجز على الصدر "[2].

قلت: وهذا وجه دقيق في التناسب بين السورتين بطريق المقابلة، وبما يشبه رد العجز على الصدر.

المطلب الثالث: موضوعاتها

إن الموضوع الأبرز الذي تعالجه سورة الواقعة هو قضية البعث، وذكر الأدلة الكونية على وحدانية الله تعالى وقدرته – وهذا شأن السور المكية – بالإضافة إلى ذكر السورة لمشاهد من أحداث يوم القيامة، وذكر أصناف الناس في الدنيا، وبيان مصائرهم في الآخرة.

ويمكن تقسيم السورة إلى ثلاثة موضوعات وخاتمة[3].

الموضوع الأول: الآيات (1-56)

يبدأ بوصف القيامة وأحداثها، وذكر مصائر الأزواج الثلاثة: السابقين، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، وما أعدّه الله لكل فريق منهم.

---

(1) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبعالمثاني**، تحقيق علي عبد الباري عطية، ج 14، ص 128، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ

(2) الألوسي، **روح المعاني**، ج 14، ص 128.

(3) انظر: سيد قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت1385هـ)، **في ظلال القرآن**، ج 6، ص 3461، وما بعدها بتصرف واختصار، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، 1412 هـ.

الموضوع الثاني: الآيات (57-80)

يتحدث عن وحدانية الله تعالى وقدرته، وبخاصة قضية البعث التي هي موضوع السورة الأول، ردّاً على الشاكّين فيها، المكذِّبين بالقرآن الكريم، ونلحظ هنا أن تلك الأدلة هي في حدود المشاهدات التي لا تغيب عن الإنسان، أياً كانت بيئته ودرجته ومعرفته وتجربته.

الموضوع الثالث: الآيات (81-94)

يتحدث عن مشهد الاحتضار حين تبلغ الروح الحلقوم، وهي تستقبل عالَماً لا عهد لها به، وهي عاجزة قاصرة، وبيان مصير هذه الروح.

الخاتمة: الآيتان (95-96)

ثم تختم السورة بتوكيد الخبر الصادق، وتسبيح الله الخالق.

المبحث الثاني: الأدلة الكونية على وحدانية الله تعالى وقدرته

قال تعالى (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (57) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (61) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (62) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (66) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (67) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (72) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ) (73) [الواقعة:57-73]

بعد أن ذكر الله تعالى الأزواج الثلاثة – أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون – وبيَّن مآل كلٍّ منها، وفصَّل ما يلقاه السابقون وأصحاب الميمنة من نعيم مقيم، وذكر ما يلقاه أصحاب المشأمة من عذاب لازب في حميم وغسّاق، وذكر أن ذلك إنما نالهم لأنهم أشركوا بربهم وعبدوا معه غيره وكذبوا رسله، وأنكروا البعث والجزاء، أردف ذلك بإقامة الأدلة على وحدانيته تعالى، من خلال قدرته على البعث[1].

والملاحظ أن الأدلة المذكورة على وحدانية الله تعالى هنا هي مما لا يستطيع العاقل إنكارها أو التشكيك فيها، لأنها قضايا كونية كبرى من جهة، ولأنها من مألوفات البشر المحسوسة في واقع حياتهم اليومية

(1)انظر: المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت 1371هـ)، **تفسير المراغي**، ج 27، ص 145، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، 1365 هـ.

من جهة أخرى، يشاهدها ويحس بها كل إنسان مهما كانت طبقته ومنزلته وثقافته. وهذه الأدلة هي: خلق الإنسان، وإنبات الزرع، وإنزال الماء، وإنشاء نار الدنيا.

ويلاحظ هنا أيضاً حُسن الترتيب في ذكر هذه الأدلة، حيث بدأ سبحانه بذكر خلق الإنسان، لأن النعمة فيه أصل النعم جميعها، ثم أعقبه بذكر ما فيه قوام الإنسان، وهو إنبات الزرع، ثم أعقبه بذكر ما فيه حياته، وهو إنزال الماء، وختم بالنار التي فيها ما يصلح طعامه وشرابه ومتاعه.

قال النسفي: " بدأ بذكر خلق الانسان فقال (أفرأيتم مَّا تُمْنُونَ) لأن النعمة فيه سابقة على جميع النعم، ثم بما به قوامه، وهو الحب فقال (أفرأيتم مَّا تَحْرُثُونَ)، ثم بما يعجن به ويشرب عليه وهو الماء، ثم بما يخبز به، وهو النار، فحصول الطعام بمجموع الثلاثة، ولا يستغني عنه الجسد ما دام حياً "[1].

وعن حُسن ترتيب هذه الأدلة، يقول الرازي بعد أن ذكر دليل خلق الإنسان: " وَذَكَرَ أُمُورًا ثَلَاثَةً: الْمَأْكُولُ، وَالْمَشْرُوبُ، وَمَا بِهِ إِصْلَاحُ الْمَأْكُولِ، وَرَتَّبَهُ تَرْتِيبًا، فَذَكَرَ الْمَأْكُولَ أَوَّلًا لِأَنَّهُ هُوَ الْغِذَاءُ، ثُمَّ الْمَشْرُوبَ لِأَنَّ بِهِ الِاسْتِمْرَاءَ، ثُمَّ النار التي بِهَا الْإِصْلَاحُ، وَذَكَرَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مَا هُوَ الْأَصْلُ، فَذَكَرَ مِنَ الْمَأْكُولِ الْحَبَّ فَإِنَّهُ هُوَ الْأَصْلُ، وَمِنَ الْمَشْرُوبِ الْمَاءَ لِأَنَّهُ هُوَ الْأَصْلُ، وَذَكَرَ مِنَ الْمُصْلِحَاتِ النَّارَ لِأَنَّ بِهَا إِصْلَاحَ أَكْثَرِ الْأَغْذِيَةِ وَأَعَمِّهَا، وَدَخَلَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَا هُوَ دُونَهُ، هَذَا هُوَ التَّرْتِيبُ "[2].

وبعد أن ذكر الله تعالى هذه الأدلة، أعقبها بذكر ما يفسدها، تذكيراً بالبعث بعد فسادها، وإظهاراً لقدرته، وتحقيقاً لوحدانيته، فبعد أن ذكر دليل خلق الإنسان، أعقبه بذكر ما يفسده وهو الموت، وبعد دليل إنبات الزرع أعقبه بذكر الحطام، وبعد دليل إنزال الماء أعقبه بذكر الأجاج، أما نار الدنيا فلم يذكر ما يفسدها لإفادة الوعد بإظهار رحمته، والوعيد بإظهار قوّته.

قال النيسابوري: " وذكر عقيب كل واحد ما يأتي عليه ويفسده، فقال في الأولى (نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ)، وفي الثانية (لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً)، وفي الثالثة (لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً)، ولم يقل في الرابعة ما يفسدها، بل قال (نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً) تتعظون بها ولا تنسون نار جهنم، كما روي عن رسول

---

(1)النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت710هـ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج 3، ص 428، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ .

(2) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 29، ص 420.

الله صلى الله عليه وسلم " ناركم هذه التي يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من جهنم "[1]"[2].

إن مجموع هذه الأدلة يشكّل المحور الأساس الذي يستهدف بناء العقيدة الربانية، ويجلّي معاني القدرة الإلهية، ويغرس في النفس أركان الوحدانية، لأن هذه الأدلة تخاطب الفطرة البشرية بكل لطف ويسر وسهولة.

قال سيد قطب: " فأما الشوط الثاني في السورة فيستهدف بناء العقيدة بكليتها، وإن كان التوكيد البارز فيه على قضية البعث والنشأة الأخرى، وفيه تتجلى طريقة القرآن في مخاطبة الفطرة البشرية، وفي تناول الدلائل الإيمانية، وفي التلطف إلى النفوس في بساطة ويسر، وهو يتناول أكبر الحقائق في صورها القريبة الميسورة "[3].

إن هذه الأدلة – مع سهولتها ويسرها وبساطتها لأنها من مألوفات الناس – تُعَدُّ قضايا كونية كبرى، لأنها تدعو إلى النظر والتفكير، وتحيي الأرواح والقلوب، وتوقظ المشاعر والحواس، لتبني في النهاية تلك العقيدة الراسخة في النفوس، عنوانها التوحيد، والإيمان بخالق الكون.

يقول سيد قطب: " إن هذا القرآن يجعل من مألوفات البشر وحوادثهم المكرورة، قضايا كونية كبرى، يكشف فيها عن النواميس الإلهية في الوجود، وينشئ بها عقيدة ضخمة شاملة وتصوراً كاملاً لهذا الوجود، كما يجعل منها منهجاً للنظر والتفكير، وحياة للأرواح والقلوب، ويقظة في المشاعر والحواس، يقظة لظواهر هذا الوجود التي تطالع الناس صباح مساء، وهم غافلون عنها، ويقظة لأنفسهم وما يجري من العجائب والخوارق فيها

---

(1)رواه الشيخان وغيرهما.

انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت 256 هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، ج 4، ص 121، ح 3265، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ .

ومسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)**، ج 4، ص 2184، ح 2843، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(2)النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت 850هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج 6، ص 244، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ .

(3)سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 6، ص 3466.

."[1]

ويتابع سيد قطب بقوله: " إنه يأخذهم إلى هذه المعجزات الكامنة فيهم، والمبثوثة في الكون من حولهم، يأخذهم إلى هذه الخوارق المألوفة لهم، التي يرونها ولا يحسون حقيقة الإعجاز فيها، لأنهم لطول ألفتهم لها غفلوا عن مواضع الإعجاز فيها، يأخذهم إليها ليفتح عيونهم عليها فتطلع على السر الهائل المكنون فيها، سر القدرة المبدعة، وسر الوحدانية المفردة، وسر الناموس الأزلي الذي يعمل في كيانهم هم أنفسهم، كما يعمل في الكون من حولهم ، والذي يحمل دلائل الإيمان، وبراهين العقيدة، فيبثها في كيانهم، أو يوقظها في فطرتهم بتعبير أدق. وعلى هذا المنهج يسير في هذا الشوط من السورة، وهو يعرض عليهم آيات القدرة المبدعة في خلقهم هم أنفسهم، وفي زرعهم الذي تزاوله أيديهم، وفي الماء الذي يشربون، وفي النار التي يوقدون، وهي أبسط ما يقع تحت أبصارهم من مألوفات حياتهم "[2]

المطلب الأول: خلق الإنسان

قال تعالى (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (57) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (61) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) (62) [الواقعة:57-62]

هذا هو الدليل الأول على وحدانية الله تعالى وقدرته، دليل خلق الإنسان، وما فيه من عظمة باهرة، وأسرار غامرة، وإعجاز عجيب، وإبداع فريد.

(نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ) [الواقعة:57]

هذا خطاب إلى الكفار، فهو التفات من الغيبة إلى الخطاب بعد قوله تعالى عنهم (هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) [الواقعة:56]، وفيه ردّ عليهم وتوبيخ وتبكيت لهم لأنهم أنكروا البعث، وإلزام الحجّة بأن الله خالقهم، فلا سبيل إلى إنكار هذه الحقيقة التي يسلّمون بها، وأنه خلقهم أول مرة، لأن الذي خلقهم أول مرة قادر على إعادتهم مرة أخرى بعد موتهم بطريق الأولى.

قال أبو السعود: " (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) تلوينٌ للخطاب وتوجيهٌ له إلى الكفرةِ بطريقِ الإلزامِ والتبكيتِ "[3].

---

(1) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 6، ص 3466.

(2)سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 6، ص 3466.

(3)أبو السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب**

وقال الشوكاني: " قوله (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) التفت سبحانه إلى خطاب الكفرة تبكيتاً لهم وإلزاماً للحجة، أي: فهلا تصدقون بالبعث أو بالخلق "[1].

وقال ابن كثير: " يقول تعالى مقررا للمعاد، وردّاً على المكذّبين به من أهل الزيغ والإلحاد من الذين قالوا (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) [الصافات: 16]، وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد، فقال: (نحن خلقناكم) أي: نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، أفليس الذي قدر على البداءة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى؟ "[2].

فإن قيل: ما معنى التحضيض على التصديق بالخلق وهم مصدّقون بأنه تعالى خلقهم وأنشأهم أول مرة، بدليل قوله تعالى (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [الزخرف:87] والتحضيض إنما يتصور على ما لم يحصل بعد ؟فالجواب من وجهين[3]:

أحدهما: هم وإن كانوا مصدّقين بألسنتهم، إلا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذّبون به، فإنّ العالِمَ بالشيء ينزَّل منزلة الجاهل به إذا لم يجرِ على مقتضى علمه، فهم لما أصرّوا على الكفر واتّباع الشهوات صاروا بمنزلة من يكذب بالخلق الأول، فصحّ تحضيضهم على التصديق به.

الكريم، ج 8،ص196، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(1) الشوكاني، **فتح القدير**، ج 5، ص 188.

(2) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 7، ص 537.

(3) انظر: الرازي، أبو بكر زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد المحسن بن عبد القادر الرازي (ت 666 هـ)، **تفسير الرازي المسمى أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل**، ص 495، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1411 هـ.

والزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج 4، ص 465، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ .

والنسفي، **مدارك التنزيل**، ج 3، ص 475. وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج 8، ص 196.والألوسي، **روح المعاني**، ج 14، ص 146.

وشيخ زاده، محيي الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي شيخ زاده، **حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي**، ج 8، ص 90، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ.

والشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر الشهاب الخفاجي، **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي**، ج 9، ص 75، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417 هـ.

والقاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق محمد باسل عيون السود، ج9، ص 125، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.

الثاني: أن يكون المراد تحضيضهم على التصديق بالبعث بعد الموت، بالاستدلال بالخلق الأول، فكأنه تعالى قال: هو خلقكم أولاً باعترافكم، فلا يمتنع عليه أن يعيدكم ثانية.

وتقديم (نحن) على (خلقناكم) لإفادة تقوية الحُكم، والردّ على الكفار الذين أنكروا البعث، والتذكير بأن الذي خلقهم أول مرة قادر على أن يعيدهم مرة أخرى.

قال ابن عاشور: " وَتقدم الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَلَى الْمُسْنَدِ الْفِعْلِيّ لِإِفَادَةِ تُقَوِّي الْحُكْمَ رَدًّا عَلَى إِحَالَتِهِمْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَادِرًا عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِهِمْ بَعْدَ فَنَاءِ مُعْظَمِ أَجْسَادِهِمْ حِينَ يَكُونُونَ تُرَابًا وَعِظَامًا، فَهَذَا تَذْكِيرٌ لَهُمْ بِمَا ذُهِلُوا عَنْهُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ خلقهمْ أول مرّة وَهُوَ الَّذِي يُعيد خلقهمْ ثَانِي مرّة، فَإِنَّهُم وَإِن كَانُوا يعلمُونَ أَن الله خَلَقَهُمْ لَمَّا لَمْ يَجْرُوا عَلَى مُوجَبِ ذَلِكَ الْعلم بإحالتهم إِعَادَة الْخَلْقِ نُزِّلُوا مَنْزِلَةَ مَنْ يَشُكُّ فِي أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ "[1].

(فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ) [الواقعة:57]

(لولا) كلمة مركَّبة من كلمتين معناها التحضيض والحث[2].

والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها[3].

قال الشنقيطي: " (لَوْلَا) حَرْفُ تَحْضِيضٍ، وَمَعْنَاهُ الطَّلَبُ بِحَثٍّ وَشِدَّةٍ، فَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ حَثِّ اللَّهِ لِلْكُفَّارِ، وَحَضِّهِ لَهُمْ عَلَى التَّصْدِيقِ بِالْبَعْثِ، لِظُهُورِ بُرْهَانِهِ الْقَاطِعِ، الَّذِي هُوَ خَلْقُهُ لَهُمْ أَوَّلًا "[4].

(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ) [الواقعة:58]

احتجّ سبحانه على بعث الكفار بالقدرة على ابتدائهم – بطريق الإنكار – فقال (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ)[5].

(ما تمنون): أي ما تقذفونه وتصبّونه في أرحام النساء من النُّطَف[6].

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 27، ص 312.

(2) انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 29، ص 415.

(3) انظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج 8، ص 196.

(4) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن** بالقرآن، ج7، ص 527، دار الفكر، بيروت، 1415 هـ.

(5) انظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، ج 4، ص225، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ.

(6)انظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج 4، ص 465.

والنسفي، **مدارك التنزيل**، ج 3، ص 425.

والبيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار**

قال الراغب: " المَنَى: التّقدير. يقال: مَنَى لك الماني، أي: قدّر لك المقدّر، ومنه: المَنا الذي يوزن به فيما قيل، والمنِيُّ للذي قدّر به الحيوانات "[1].

وقال الماوردي: " وفي تسمية المني منيّاً وجهان: أحدهما: لإمنائه، وهو إراقته. الثاني: لتقديره "[2].

(أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) [الواقعة:59]

لما كانت العبرة بالمسبب لا بالسبب، نبَّه على ذلك بتجديد الإنكار تنبيهاً على أنهم وإن كانوا معترفين بتفرده بالإبداع، فإن إنكارهم للبعث مستلزم لإنكارهم لذلك فقال (أأنتم تخلقونه)[3].

وهنا ذكر سبحانه ما هو الأوفق لأعمالهم فقال بصيغة المضارع (تخلقونه) بما يدل على التجدد، وذكر ما هو الأولى في حقه سبحانه فقال بصيغة اسم الفاعل (الخالقون) بما يدل على الثبات والدوام.

قال البقاعي: " ولما كان المقام لتقرير المنكرين، ذكَر الخبر المفهوم من السياق على وجه أفهم أن التقدير: أو أنتم الخالقون له أم نحن؟ فقال: بل نحن الخالقون، أي الثابت لنا ذلك، فالآية من الاحتباك: ذكر أولاً (تخلقونه) دليلاً على حذف مثله له سبحانه ثانياً، وذكر الاسم ثانياً دليلاً على حذف مثله لهم أولاً، وسرّ ذلك أنه ذكر ما هو الأوفق لأعمالهم مما يدل على وقت التجدد ولو وقتاً ما، وما هو الأولى بصفاته سبحانه مما يدل على الثبات والدوام "[4].

ومعنى (أأنتم تخلقونه): أي تقدّرونه وتصوّرونه وتجعلونه بَشَراً سوياً[5].

وهذا احتجاج عليهم، وبيان للآية الأولى، أي إذا أقررتم بأنّا خالقوه لا غيرنا، فاعترفوا بالبعث[6].

التأويل، ج 5، ص 181، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.

(1) الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ص 779، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ.

(2) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت 450هـ)، **النكت والعيون**، ج 5، ص 458، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

(3)انظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 219.

(4) البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 220.

(5)انظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج 4، ص 465.والنسفي، **مدارك التنزيل**، ج 3، ص 426.والألوسي،**روح المعاني**، ج 14، ص 146.

(6) انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 17، ص 216.

وابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، ج 18، ص 416، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت،

وخرجت هذه الآية مخرج الامتنان بأن خلقهم بَشَراً سويّاً، وخرجت مخرج البرهان بأن بيّن لهم قدرته على البعث.

قال الماوردي: " (أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) يحتمل وجهين: أحدهما: أي نحن خلقنا من المني المهين بشراً سوياً، فيكون ذلك خارجاً مخرج الامتنان. الثاني: أننا خلقنا مما شاهدتموه من المني بشراً فنحن على خلق ما غاب من إعادتكم أقدر، فيكون ذلك خارجاً مخرج البرهان، لأنهم على الوجه الأول معترفون، وعلى الوجه الثاني منكرون "[1].

ولما نفى الله الخلق عنهم، وأثبته له، دلّ على أنه المتفرّد بالخلق وحده، ولذلك قدّم (أأنتم) على (تخلقونه) ليقوّي هذا الحكم، مع ما فيه من صفة الإنكار عليهم.

قال ابن عاشور: " وَتَقْدِيمُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَلَى الْمُسْنَدِ الْفِعْلِيِّ فِي (أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ) لِإِفَادَةِ التَّقَوِّي، لِأَنَّهُمْ لَمَّا نُزِّلُوا مَنْزِلَةَ مَنْ يَزْعُمُ ذَلِكَ كَمَا عَلِمْتَ صِيغَتْ جُمْلَةُ نَفْيِهِ بِصِيغَةٍ دَالَّةٍ عَلَى زَعْمِهِمْ تُمَكِّنُ التَّصَرُّفَ فِي تَكْوِينِ النَّسْلِ، وَقَدْ حَصَلَ مِنْ نَفْيِ الْخَلْقِ عَنْهُمْ وَإِثْبَاتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى مَعْنَى قَصْرِ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى "[2].

وبهذا يكون معنى الآية: أخبروني عمّا قذفتم به في الأرحام من النطَف: أأنتم تقدّرونه وتصوّرونه بَشَراً سويّاً أم الله الخالق ؟

(نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) [الواقعة:60]

احتجاج ثانٍ، أي الذي يقدر على الإماتة يقدر أيضاً على الخلق، وإذا قدر على الخلق قدر على البعث مرة أخرى بعد الموت.

قال ابن عاشور: " اسْتِدْلَالٌ بِإِمَاتَةِ الْأَحْيَاءِ عَلَى أَنَّهَا مَقْدُورَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى ضَرُورَةَ أَنَّهُمْ مُوقِنُونَ بِهَا وَمُشَاهِدُونَهَا وَوَادُّونَ دَفْعَهَا أَوْ تَأْخِيرَهَا، فَإِنَّ الَّذِي قَدِرَ عَلَى خَلْقِ الْمَوْتِ بَعْدَ الْحَيَاةِ قَادِرٌ عَلَى الْإِحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِذِ الْقُدْرَةُ عَلَى حُصُولِ شَيْءٍ تَقْتَضِي الْقُدْرَةَ عَلَى ضِدِّهِ فَلَا جَرَمَ أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى خَلْقِ حَيٍّ مِمَّا لَيْسَ فِيهِ حَيَاةٌ وَعَلَى إِمَاتَتِهِ بَعْدَ الْحَيَاةِ قَدِيرٌ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي حَالَيْ إِحْيَائِهِ وَإِمَاتَتِهِ، وَمَا الْإِحْيَاءُ بَعْدَ الْإِمَاتَةِ إِلَّا حَالَةٌ مِنْ تَيْنِكَ الْحَقِيقَتَيْنِ، فَوَضَحَ دَلِيلُ إِمْكَانِ الْبَعْثِ "[3].

وهنا تتجلى رحمة الله وحكمته من تقدير الموت بين الناس، أما في الدنيا فحتى لا تضيق بهم

الطبعة الأولى، 1419 هـ.

(1)الماوردي، **النكت والعيون**، ج 5، ص 458.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 27، ص 314.

(3)ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 27، ص 314.

الأرض، وأما في الآخرة فحتى يأخذ كل منهم جزاءه، ولفظ (قدّرنا) مُشْعِرٌ بالتذكير بالعلم والقدرة والإرادة والحكمة الإلهية من هذا التقدير، فكل شيء مخلوق بقدر حتى الموت، ولفظ (بينكم) مُشْعِرٌ بأن الموت سينال كل إنسان آجلاً أم عاجلاً، وكأنه شيء مقسوم بين العباد، كلٌّ ينتظر دوره، ولهذا قدّم (نحن) على (قدّرنا) لتقوية هذا الحُكم وتحقيقه بين العباد.

قال ابن عاشور: " فَهَذَا وَجْهُ التَّعْبِيرِ بِ (قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ) دُونَ: نَحْنُ نُمِيتُكُمْ، أَيْ أَنَّ الْمَوْتَ مَجْعُولٌ عَلَى تَقْدِيرٍ مَعْلُومٍ مُرَادٍ، مَعَ مَا فِي مَادَّةِ قَدَّرْنا مِنَ التَّذْكِيرِ بِالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ لِتَتَوَجَّهَ أَنْظَارُ الْعُقُولِ إِلَى مَا فِي طَيِّ ذَلِكَ مِنْ دَقَائِقَ وَهِيَ كَثِيرَةٌ، وَخَاصَّةً فِي تَقْدِيرِ مَوْتِ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ سَبِيلٌ إِلَى الْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ إِنْ أَخَذَ لَهَا أَسْبَابَهَا.وَفِي كَلِمَةِ بَيْنَكُمُ مَعْنًى آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي عَلَى آحَادِهِمْ تَدَاوُلًا وَتَنَاوُبًا، فَلَا يُفْلِتُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَلَا يَتَعَيَّنُ لِحُلُولِهِ صِنْفٌ وَلَا عُمُرٌ، فَآذَنَ ظَرْفُ (بَيْنَ) بِأَنَّ الْمَوْتَ كَالشَّيْءِ الْمَوْضُوعِ لِلتَّوْزِيعِ لَا يدْرِي أحد مَتَى يُصِيبُهُ قِسْطُهُ مِنْهُ، فَالنَّاسُ كَمَنْ دُعُوا إِلَى قِسْمَةِ مَالٍ أَوْ ثَمَرٍ أَوْ نَعَمٍ لَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يُنَادَى عَلَيْهِ لِيَأْخُذَ قِسْمَهُ، أَوْ مَتَى يَطِيرُ إِلَيْهِ قِطُّهُ وَلَكِنَّهُ يُوقِنُ بِأَنَّهُ نَائِلُهُ لَا مَحَالَةَ. وَبِهَذَا كَانَ فِي قَوْلِهِ (بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ) اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ إِذْ شَبَّهَ الْمَوْتَ بِمَقْسُومٍ وَرَمَزَ إِلَى الْمُشَبَّهِ بِهِ بِكَلِمَةِ (بَيْنَكُمُ) الشَّائِعِ اسْتِعْمَالُهَا فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ تَعَالَى (أَنَّ الْماءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ) [الْقَمَر: 28]. وَفِي هَذِهِ الْاسْتِعَارَةِ كِنَايَةٌ عَنْ كَوْنِ الْمَوْتِ فَائِدَةً وَمَصْلَحَةً لِلنَّاسِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا لِقِلَّا تَضِيقَ بِهُمُ الْأَرْضُ وَالْأَرْزَاقُ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَلِلْجَزَاءِ الْوِفَاقِ. وَتَقْدِيمُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَلَى الْمُسْنَدِ الْفِعْلِيِّ لِإِفَادَةِ تَقَوِّي الْحُكْمِ وَتَحْقِيقِهِ، وَالتَّحْقِيقُ رَاجِعٌ إِلَى مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ التَّرْكِيبُ مِنْ فِعْلِ (قَدَّرْنا) وَظَرْفُ (بَيْنَكُمُ) فِي دَلَالَتِهِمَا عَلَى مَا فِي خَلْقِ الْمَوْتِ مِنَ الْحِكْمَةِ الَّتِي أَشَرْنَا إِلَيْهَا "[1].

(وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ): أي مغلوبين عاجزين.

قال ابن فارس: " السِّينُ وَالْبَاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى التَّقْدِيمِ "[2].

وقال الراغب: " وأصل السَّبْقِ: التّقدّم في السّير، ومنه قوله تعالى (وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) [الواقعة:60]، أي: لا يفوتوننا، وقوله (وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا) [الأنفال:59]، وقوله (وَما كانُوا سابِقِينَ) [العنكبوت:39]، تنبيه على أنهم لا يفوتونه "[3].

والسبق: مجاز من الغلبة والتعجيز، لأن السبق يستلزم أن السابِقَ غالِبٌ للمسبوق، فالمعنى: وما

---

(1)ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 27، ص 315-316.

(2) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ج3، ص 129، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ .

(3)انظر: الراغب، **المفردات**، ص 395.

نحن بمغلوبين أو عاجزين[1].

(عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ) [الواقعة:61]

اختلف المفسرون في قوله (عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ) ما متعلقه على قولين[2]:

أحدهما: أنه متعلق بقوله (بمسبوقين) والمعنى: لم يسبقنا أحد على تبديلنا أمثالكم أي يعجزنا.

الثاني: أنه متعلق بقوله (قدّرنا) والمعنى: قدّرنا بينكم الموت (على أن نبدّل أمثالكم) أي تموت طائفة وتخلفها طائفة أخرى، وعلى هذا يكون قوله (وما نحن بمسبوقين) معترضاً.

والوجهان محتملان.

واختلف المفسرون أيضاً[3] في معنى (أمثالكم)، وبناءً عليه اختلفوا في معنى (وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ): فإذا كانت (أمثالكم) جمع (مِثْل) بكسر الميم وسكون الثاء كان المعنى: نبدّل منكم ومكانكم وأشباهكم من الخلق، وننشئكم في خلق لا تعلمونها، وما عهدتم بمثلها. وإذا كانت (أمثالكم) جمع (مَثَل) بفتحتين كان المعنى: نبدّل ونغيّر صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم، وننشئكم في صفات لا تعلمونها.

وذكر ابن الجوزي وجوهاً أخرى لمعنى الآية لا تخرج عن هذين المعنيين[4].

(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) [الواقعة:62]

استدلال على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى، وهي خلقهم من تراب، أو من نطفة، فالذي قدر على الأولى قادر على الأخرى بطريق الأولى.

قال ابن كثير: " فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة –وهي البداءة–قادر على النشأة الأخرى – وهي الإعادة – بطريق الأولى والأحرى "[5].

وقال البيضاوي: " فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى فإنها أقل صنعاً،

---

(1)انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 27، ص 316.

(2)انظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج 4، ص 464.

والنسفي، مدارك التنزيل، ج 3، ص 426. وابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج 18، ص 417.

(3)انظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج 4، ص 464. والنسفي، **مدارك التنزيل**، ج 3، ص 426.

وابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج 18، ص 417.

(4)انظر: ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج 4، ص 226.

(5)ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 7، ص 539.

لحصول المواد، وتخصيص الأجزاء، وسبق المثال "[1].

والآيات في هذا الباب كثيرة منها:

قوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الروم:27]

وقوله تعالى (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء:104]

وقوله تعالى (فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) [الإسراء:51]

وقوله تعالى (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) [يس:78-79]

جاء في الخبر: " عَجَباً كلَّ العَجَب للمكذِّب بالنشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعَجَباً للمصدِّق بالنشأة الآخرة وهو لا يسعى لدار القرار "[2].

وفي رواية " وعَجَباً للمصدِّق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور "[3].

وفي هذه الآية دليل على صحة القياس[4].

حيث وبَّخهم وجَهَّلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى، فكان الأولى بهم أن يعلموا النشأة الآخرة، كما علموا النشأة الأولى بطريق القياس.

قال ابن عاشور: " (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ) أَعْقَبَ دَلِيلَ إِمْكَانِ الْبَعْثِ الْمُسْتَنِدِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى صَلَاحِيَّةِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ لِذَلِكَ وَلِسَدِّ مَنَافِذِ الشُّبْهَةِ بِدَلِيلٍ مِنْ قِيَاسِ التَّمْثِيلِ، وَهُوَ تَشْبِيهُ النَّشْأَةِ الثَّانِيَةِ بِالنَّشْأَةِ الْأُولَى الْمَعْلُومَةِ عِنْدَهُمْ بِالضَّرُورَةِ، فَنَبَّهُوا لِيَقِيسُوا عَلَيْهَا النَّشْأَةَ الثَّانِيَةَ فِي أَنَّهَا إِنْشَاءٌ مِنْ أَثَرِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ، وَفِي أَنَّهُمْ لَا يُحِيطُونَ عِلْمًا بِدَقَائِقِ حُصُولِهَا. فَالْعِلْمُ الْمَنْفِيُّ فِي قَوْله (فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ)

---

(1)البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج 5، ص 181.

(2) انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 17، ص 217.

والزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج 27، ص 271، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، 1418 هـ.

(3) انظر: ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج 18، ص 418.وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج 8، ص 197.والمراغي، **التفسير**، ج 27، ص 146.

(4)انظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج 4، ص 465.والنسفي، **مدارك التنزيل**، ج 3، ص 426.والبيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج 5، ص 181.

[الْوَاقِعَة: 61]، هُوَ الْعِلْمُ التَّفْصِيلِيُّ، وَالْعِلْمُ الْمُثْبَتُ فِي قَوْلِهِ (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى) هُوَ الْعِلْمُ الْإِجْمَالِيُّ، وَالْإِجْمَالِيُّ كَافٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى التَّفْصِيلِيِّ إِذْ لَا أَثَرَ لِلتَّفْصِيلِ فِي الْاِعْتِقَادِ. وَفِي الْمُقَابَلَةِ بَين قَوْله (فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ)[الْوَاقِعَة: 61] بِقَوْلِهِ (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ) مُحَسِّنُ الطِّبَاقَ.وَلَمَّا كَانَ عِلْمُهُمْ بِالنَّشْأَةِ الْأُولَى كَافِيًا لَهُمْ فِي إِبْطَالِ إِحَالَتِهِمُ النَّشْأَةَ الثَّانِيَةَ رَتَّبَ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْبِيخِ مَا لَمْ يُرَتِّبْ مِثْلَهُ عَلَى قَوْلِهِ (وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ) [الْوَاقِعَة: 60- 61] فَقَالَ (فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ) أَيْ هَلَّا تَذَكَّرْتُمْ بِذَلِكَ فَأَمْسَكْتُمْ عَنِ الْجَحْدِ، وَهَذَا تَجْهِيلٌ لَهُمْ فِي تَرْكِهِمْ قِيَاسَ الْأَشْبَاهِ عَلَى أَشْبَاهِهَا، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ آنِفًا (نَحْنُ خَلَقْناكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ) [الْوَاقِعَة: 57].وَجِيءَ بِالْمُضَارِعِ فِي قَوْلِهِ (تَذَكَّرُونَ) لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ بَابَ التَّذَكُّرِ مَفْتُوحٌ فَإِنْ فَاتَهُمُ التَّذَكُّرُ فِيمَا مَضَى فَلْيَتَدَارَكُوهُ الْآنَ "[1].

إلى هنا ينتهي الدليل الأول من أدلة وحدانية الله وقدرته، وهو خلق الإنسان، والذي لا تملك معه الفطرة السليمة، والعقل السليم، إلا التسليم المطلق بوحدانية الله وقدرته، بكل بساطة ويسر وسهولة، بعيداً عن الكِبر والعناد والتعقيد.

قال سيد قطب: " بهذه البساطة وبهذه السهولة يعرض القرآن قصة النشأة الأولى والنشأة الآخرة، وبهذه البساطة وهذه السهولة تقف الفطرة أمام المنطق الذي تعرفه، ولا تملك أن تجادل فيه، لأنه مأخوذ من بديهياتها هي، ومن مشاهدات البشر في حياتهم القريبة، بلا تعقيد ولا تجريد، ولا فلسفة تكد الأذهان، ولا تبلغ إلى الوجدان، إنها طريقة الله، مبدع الكون، وخالق الإنسان، ومنزل القرآن "[2].

المطلب الثاني: إنبات الزرع

قال تعالى (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (66) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) (67) [الواقعة:63-67]

هذا هو الدليل الثاني من أدلة وحدانية الله تعالى وقدرته، فبعد أن ذكر دليل الخلق الذي به الابتداء، ذكر دليل الرزق الذي به البقاء، وهو إنبات الزرع.

قال الرازي: " ذَكَرَ بَعْدَ دَلِيلِ الْخَلْقِ دَلِيلَ الرِّزْقِ فَقَوْلُهُ (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ) إِشَارَةٌ إِلَى دَلِيلِ الْخَلْقِ وَبِهِ الِابْتِدَاءُ، وَقَوْلُهُ (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ) إِشَارَةٌ إِلَى دَلِيلِ الرِّزْقِ وَبِهِ الْبَقَاءُ "[3].

ولا يخفى ما بين الدليلين من التشابه، دليل خلق الإنسان، ودليل إنبات الزرع، إذ يُعَدُّ كلٌّ منهما دليلاً على الآخر، من حيث الإنبات والحرث، فما أشبه قوله تعالى (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا) [نوح:17]

---

(1)ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 27، ص 317-318.

(2) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 6، ص 3468.

(3) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 29، ص 420.

بالنبات، وما أشبه قوله تعالى (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ) [البقرة:223] بالحرث.

قال ابن عاشور: " وَمُنَاسِبَةُ الْانْتِقَالِ مِنَ الْاسْتِدْلَالِ بِخَلْقِ النَّسْلِ إِلَى الْاسْتِدْلَالِ بِنَبَاتِ الزَّرْعِ هِيَ التَّشَابُهُ الْبَيِّنُ بَيْنَ تَكْوِينِ الْإِنْسَانِ وَتَكْوِينِ النَّبَاتِ، قَالَ تَعَالَى: (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً) [نوح: 17] "(1)

وقال البقاعي: " ولما كان علمهم بأمر النبات الذي هو الآية العظمى لإعادة الأموات أعظم من علمهم بجميع ما مضى، وكان أمره في الحرث وإلقاء البذر فيه أشبه شيء بالجماع وإلقاء النطفة، ولذلك سميت المرأة حرثاً، وصل بما مضى مسبباً عنه قوله منكراً عليهم (أفرأيتم ما تحرثون) "(2).

إن إنبات الزرع لدليل عظيم على وحدانية الله تعالى وقدرته، وهو امتنان منه على البشر جميعاً، وبه تتحقق مصالحهم وحاجاتهم، فلولا حفظ الله للزرع، لجعله حطاماً، ولكنها رحمته التي وسعت كل شيء.

قال الشيخ السعدي: " وهذا امتنان منه على عباده، يدعوهم به إلى توحيده وعبادته والإنابة إليه، حيث أنعم عليهم بما يسَّره لهم من الحرث للزروع والثمار، فتخرج من ذلك من الأقوات والأرزاق والفواكه، ما هو من ضروراتهم وحاجاتهم ومصالحهم، التي لا يقدرون أن يحصوها، فضلاً عن شكرها، وأداء حقها، فقررهم بمنّته، فقال (أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) أي: أأنتم أخرجتموه نباتاً من الأرض؟ أم أنتم الذين نميتموه؟ أم أنتم الذين أخرجتم سنبله وثمره حتى صار حبا حصيدا وثمرا نضيجا؟ أم الله الذي انفرد بذلك وحده، وأنعم به عليكم؟ وأنتم غاية ما تفعلون أن تحرثوا الأرض وتشقوها وتلقوا فيها البذر، ثم بعد ذلك لا علم عندكم بما يكون بعد ذلك، ولا قدرة لكم على أكثر من ذلك ومع ذلك، فنبههم على أن ذلك الحرث معرض للأخطار لولا حفظ الله وإبقاؤه لكم بلغة ومتاعا إلى حين "(3).

وفي هذا الدليل، دليل إنبات الزرع، امتنان موجب لشكر الله على نعمته، وبرهان موجب للاعتبار الموصل لتوحيد الله والتسليم بقدرته.

قال الماوردي: " وتتضمن هذه الآية أمرين: أحدهما: الامتنان عليهم بأن أنبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروه على نعمته عليهم. الثاني: البرهان الموجب للاعتبار بأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذوره وانتقاله إلى استواء حاله، من العفن إلى الترتيب، حتى صار زرعاً أخضر، ثم جعله قوياً مشتداً أضعاف ما كان عليه، فهو

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 27، ص 320.

(2)البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 223.

(3)السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ)، ص 835، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ.

بإعادة من مات أحق، وعليه أقدر، وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفطر السليمة "[1].

وقال ابن الجوزي: " وقد نبَّه هذا الكلام على أشياء منها إحياء الموتى، ومنها الامتنان بإخراج القُوت، ومنها القدرة العظيمة الدالة على التوحيد "[2].

إن دور الإنسان يقتصر على الحرث، وإلقاء البذر، الذي هو من صنع الله، فمهما بذل الإنسان من جهد ووقت ومال وحرص على جني الثمر، فإن هذا لن يتم إلا برحمة من الله وفضله، ولا يكون إلا إذا شاء الله له أن يكون، فهو وحده الذي يسمح للنبات أن يستمر ليكمل دورته، ويؤتي أكله، وينضج ثمره، فسبحان الله الخالق القادر الواحد.

قال سيد قطب: " ومرة أخرى في بساطة ويسر يأخذ بقلوبهم إلى أمر مألوف لهم، مكرر في مشاهداتهم... يطلعهم على المعجزة التي تقع بين أيديهم، وعلى مرأى من عيونهم، وهم عنها غافلون... هذا الزرع الذي ينبت بين أيديهم وينمو ويؤتي ثماره. ما دورهم فيه؟ إنهم يحرثون ويلقون الحب والبذور التي صنعها الله. ثم ينتهي دورهم... ثم تأخذ الحبة أو البذرة طريقها لإعادة نوعها. تبدؤه وتسير فيه سيرة العاقل العارف الخبير بمراحل الطريق! الذي لا يخطئ مرة كما يخطئ الإنسان في عمله، ولا ينحرف عن طريقه، ولا يضل الهدف المرسوم، إن الله هو الذي يتولى خطاها على طول الطريق في الرحلة العجيبة. الرحلة التي ما كان العقل ليصدقها، وما كان الخيال ليتصورها، لولا أنها حدثت وتحدث ويراها كل إنسان في صورة من الصور، ونوع من الأنواع، وإلا فأي عقل كان يصدق، وأي خيال كان يتصور أن حبة القمح مثلا يكمن فيها هذا العود وهذا الورق، وهذه السنبلة، وهذا الحب الكثير؟! أو أن النواة تكمن فيها نخلة كاملة سامقة بكل ما تحتويه؟! أي عقل كان يمكن أن يتطاول به الخيال إلى تصور هذه العجيبة. لولا أنه يراها تقع بين يديه صباح مساء؟ ولولا أن هذه القصة تتكرر على مرأى ومسمع من جميع الناس؟ وأي إنسان يمكنه أن يدعي أنه صنع شيئاً في هذه العجيبة سوى الحرث وإلقاء البذور التي صنعها الله؟ ثم يقول الناس: زرعنا!! وهم لم يتجاوزوا الحرث وإلقاء البذور. أما القصة العجيبة التي تمثلها كل حبة وكل بذرة. وأما الخارقة التي تنبت من قلبها وتنمو وترتفع فكلها من صنع الخالق الزارع. ولو شاء لم تبدأ رحلتها. ولو شاء لم تتم قصتها. ولو شاء لجعلها حطاماً قبل أن تؤتي ثمارها. وهي بمشيئته تقطع رحلتها من البدء إلى الختام! ولو وقع هذا لظل الناس يلونون الحديث وينوعونه يقولون (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ): غارمون، (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) ولكن فضل الله يمنحهم الثمر، ويسمح للنبتة أن تتم دورتها، وتكمل رحلتها، وهي ذاتها الرحلة التي تقوم بها الخلية التي تمنى، وهي صورة من صور

---

(1) الماوردي، **النكت والعيون**، ج 5، ص 460.

(2) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج 4، ص 226.

الحياة التي ينشئها الله ويرعاها. فماذا في النشأة الأخرى من غرابة. وهذه هي النشأة الأولى؟ "[1].

ومعنى الآيات: أخبروني عما تحرثون من أرضكم فتطرحون فيها البذر، أأنتم تنبتونه وتحصلونه زرعاً فيكون فيه السنبل والحَبّ أم نحن نفعل ذلك؟ وإنما منكم البذر وشقّ الأرض، فإذا أقررتم بأن إخراج السنبل من الحب ليس إليكم، فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم ؟![2].

(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ) [الواقعة:63] أي تبذرون حَبَّه[3].

قال الراغب: " الحَرْث: إلقاء البذر في الأرض، وتهيّؤها للزرع، ويسمّى المحروث حرثاً "[4].

(أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) [الواقعة:64]

توجّه الإنكار عليهم هنا – مع أنهم لا ينكرون قدرة الله على الإنبات – لأنهم أنكروا البعث، والقادر على البعث قادر على إنبات الزرع، فتحصَّل من ذلك إنكار القدرة بالكليَّة.

قال البقاعي: " ولما كانوا لا يدَّعون القدرة على الإنبات بوجه، وكان القادر عليه قادراً على كل شيء، وهم يعتقدون في أمر البعث ما يؤدي إلى الطعن في قدرته، كرر الإنكار عليهم فقال (أأنتم تزرعونه) "[5].

وهنا أضاف الحرث إليهم فقال (أفرأيتم ما تحرثون)، وأضاف الزرع إليه تعالى فقال (أم نحن الزارعون) لأنّ الحرث فعلهم، ويجري على اختيارهم، والزرع من فعل الله، وينبت على اختياره، لا على اختيارهم[6].

قال ابن عاشور: " فِي نَفْيِ الزَّرْعِ عَنْهُمْ وَإِثْبَاتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى يُفِيدُ مَعْنَى قَصْرِ الزَّرْعِ، أَيِ الْإِنْبَاتِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَيْ دُونَهُمْ، وَهُوَ قَصْرُ مُبَالَغَةٍ لِعَدَمِ الِاعْتِدَادِ بِزَرْعِ النَّاسِ "[7].

---

(1)سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 6، ص 3467-3468.

(2) انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 17، ص 217.

وابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج 18، ص 419.

(3)انظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج 4، ص 465.

والبيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج 5، ص 181.

(4) الراغب، **المفردات**، ص 226.

(5)البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 223.

(6) انظر: الماوردي، **النكت والعيون**، ج 5، ص 459.

والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 17، ص 217.

وابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج 18، ص 419.

(7) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 27، ص 321.

ولهذا ورد النهي عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: " لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: زَرَعْتُ، وَلكِنْ لِيَقُلْ: حَرَثْتُ "[1].

قال القرطبي: " وهذا نهي إرشاد وأدب، لا حظر وإيجاب "[2].

فإن قيل: إذا كان الزَّارع هو الله، فكيف نسب الزرع إليهم في قوله تعالى (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ نَباتُهُ) [الفتح: 29] ؟ وكذلك الحديث الصحيح الذي نسب الزرع إلى المسلم في قوله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[3].

فالجواب ما قاله الرازي: " قَدْ ثَبَتَ مِنَ التَّفْسِيرِ أَنَّ الْحَرْثَ مُتَّصِلٌ بِالزَّرْعِ، فَالْحَرْثُ أَوَائِلُ الزَّرْعِ، وَالزَّرْعُ أَوَاخِرُ الْحَرْثِ، فَيَجُوزُ إِطْلَاقُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ، لَكِنَّ قَوْلَهُ: يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ بَدَلًا عَنْ قَوْلِهِ: يُعْجِبُ الْحُرَّاثَ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَارِثَ إِذَا كَانَ هُوَ المبتدي، فَرُبَّمَا يَتَعَجَّبُ بِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى فِعْلِهِ مِنْ خُرُوجِ النَّبَاتِ وَالزَّارِعُ لَمَّا كَانَ هُوَ الْمُنْتَهِيَ، وَلَا يُعْجِبُهُ إِلَّا شَيْءٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ: يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ الَّذِينَ تَعَوَّدُوا أَخْذَ الْحِرَاثِ "[4].

(لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) [الواقعة:65]

أي لو نشاء لجعلنا ذلك الزرع الذي زرعناه حُطاماً، يعني هَشيماً لا يُنتفَع به في مطعم وغذاء[5].

قال الراغب: " الحَطْمُ: كَسْرُ الشيءِ مثل الهشم ونحوه، ثمّ استعمل لكلّ كسرٍ مُتَناهٍ... والحُطَام: ما يتكسَّر

---

(1) رواه البيهقي وابن حبان وغيرهما.

انظر: البيهقي، **شعب الإيمان**، ج 7، ص 180، ح 4851.

وابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت 354هـ)، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، ج 13، ص 30، ح 5723، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1414 هـ.

وصححه الألباني في **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ج 6، ص 715، ح 2801.

(2) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 17، ص 217.

(3) رواه الشيخان وغيرهما.

انظر: البخاري، **الجامع الصحيح**، ج 3، ص 103، ح 2320.

ومسلم، **الجامع الصحيح**، ج 3، ص 1189، ح 1553.

(4) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 29، ص 420.وانظر: ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج 18، ص 419.

(5)انظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج 23، ص 139، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ.

والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 17، ص 218.

مِن اليبس "[1].

وفي هذا امتنان عليهم ليشكروا، ووعيد لهم ليعتبروا.

قال الماوردي: " فنبه بذلك على أمرين: أحدهما: ما أولاهم من النعم في زرعهم، إذ لم يجعله حطاماً ليشكروه. الثاني: ليعتبروا بذلك في أنفسهم , كما أنه يجعل الزرع حطاماً إذا شاء، كذلك يهلكهم إذا شاء ليتعظوا فينزجروا "[2].

فإن قيل: كيف قال تعالى في الزرع (لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا) باللام، وقال في الماء (لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا) بغير لام ؟

أجاب عنه الزمخشري بوجهين[3]:

أحدهما: حُذفت اختصاراً لتقدُّم ذكرها، والمسافة قصيرة فأغنى عن ذكرها ثانية.

الثاني: أن هذه اللام لام التوكيد، فذكرت مع المطعوم دون المشروب، لأن المطعوم مقدَّم وجوداً ورتبةً، لأنه إنما يحتاج إلى الماء تبعاً له، ولهذا قدِّمت آية المطعوم على آية المشروب، فلما كان الوعيد بفقد المطعوم أشدّ وأصعب، أكَّد تلك الجملة مبالغة في التهديد.

وقد ضعَّف الرازي[4]هذين الوجهين بقوله تعالى (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (66) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (67) [يس:66-67]:

أما الوجه الأول: فمنقوض لأن المسافة بينهما أقصر، وأدخلَ فيهما اللام.

وأما الوجه الثاني: فمنقوض لأن أمر الطمس أهوَنُ من أمر المسخ، وأدخلَ فيهما اللام.

وذكر الرازي[5]كلاماً طويلاً عن سر ذكر اللام وحذفها، ولكن هذا الكلام لم يعجب الألوسي، فأضرَب عنه صفحاً، وأتى الألوسي بقول ابن الأثير في المثل السائر.

قال الألوسي: " وللإمام – يعني الرازي – في هذا المقام كلام طويل اعترض به على الزمخشري،

---

(1)الراغب، **المفردات**، ص 242.

(2)الماوردي، **النكت والعيون**، ج 5، ص 460.

(3) انظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج 4، ص 466-467، باختصار وتصرف.

وانظر أيضاً، الرازي، **أنموذج جليل**، ص 495.

(4)انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 29، ص 421.

(5)انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 29، ص 421 ، وما بعدها.

وبيَّن فيه وجه الذكر أولا والحذف ثانيا، ولم أرَه أتى بما يشرح الصدر، وخير منه عندي قول ابن الأثير[1] في (المثل السائر): إن اللام أدخلت في المطعوم دون المشروب لأن جعل الماء العذب ملحا أسهل إمكانا في العرف والعادة، والموجود من الماء المالح أكثر من الماء العذب، وكثيرا ما إذا جرت المياه العذبة على الأراضي المتغيرة التربة أحالتها إلى الملوحة، فلم يحتج في جعل الماء العذب ملحاً إلى زيادة تأكيد، فلذا لم تدخل لام التأكيد المفيدة لزيادة التحقيق، وأما المطعوم فإن جعله حطاماً من الأشياء الخارجة عن المعتاد، وإذا وقع يكون عن سخط شديد، فلذا قرن باللام لتقرير إيجاده وتحقيق أمره "[2].

وقريب من هذا قول البقاعي: " ولما كانت صيرورة الماء ملحاً أكثر من صيرورة النبت حطاماً، لم يؤكد لذلك، وللتنبيه على أن السامعين لما مضى التوقيف على تمام القدرة صاروا في حيز المعترفين فقال تعالى (جعلناه) "[3].

وأوضح من كل ما سبق أن يقال: لما نسب الله إليهم الحرث في المطعوم فقال (ما تحرثون)، أكّد باللام فقال (لو نشاء لجعلناه حطاماً) حتى لا يتوهم أحد بأن له فعلاً قادراً على الإنبات، فنبّه على أن الله وحده هو القادر على ذلك، ولما لم ينسب إليهم شيئاً في المشروب فقال (الذي تشربون)، لم يحتج إلى ذلك التأكيد فقال (لو نشاء جعلناه أجاجاً).

وهذا ما ذكره ابن عاشور في تفسيره فقال: " فَإِنْ قِيلَ لِمَ أُكِّدَ الْفِعْلُ بِاللَّامِ فِي الزَّرْعِ وَلَمْ يُؤَكَّدْ فِي الْمَاءِ؟ قُلْتُ: لِأَنَّ الزَّرْعَ وَنَبَاتَهُ وَجَفَافَهُ بَعْدَ النَّضَارَةِ حَتَّى يَعُودَ حُطَامًا مِمَّا يَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنْ فِعْلِ الزَّارِعِ أَوْ أَنَّهُ مِنْ سَقْيِ الْمَاءِ، وَجَفَافُهُ مِنْ عَدَمِ السَّقْيِ، فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ الْفَاعِلُ لِذَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى جَعْلِهِ حُطَامًا فِي حَالِ نُمُوِّهِ لَوْ شَاءَ، وَإِنْزَالُ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ مِمَّا لَا يُتَوَهَّمُ أَنَّ لِأَحَدٍ قُدْرَةً عَلَيْهِ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى "[4].

(فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) بعد مصير الزرع حُطاماً.

(فَظَلْتُمْ) أصله فظلَلْتم، حذفت إحدى اللامين تخفيفاً.

قال الراغب: " وظَلْتُ وظَلَلْتُ بحذف إحدى اللّامين يعبّر به عمّا يفعل بالنهار، ويجري مجرى صرتُ، (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) "[5].

---

(1)انظر: ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت 637هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج 2، ص 192، تحقيق أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

(2) الألوسي، **روح المعاني**، ج 14، ص 149.

(3)البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 227.

(4) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 27، ص 325.

(5) الراغب، **المفردات**، ص 537.

(تَفَكَّهون): أصله تتفكَّهون حذفت إحدى التاءين للتخفيف.

والتفكُّه: التنقُّل بصنوف الفاكهة، وقد استعير للتنقل بالحديث[1].

قال الراغب: " والفُكَاهَةُ: حديث ذوي الأنس، وقوله: (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قيل: تتعاطون الفُكَاهَةَ، وقيل: تتناولون الْفَاكِهَةَ "[2].

وفي قوله (تتفكَّهون) أربعة أوجه[3]: أحدها: تندمون. الثاني: تحزنون. الثالث: تلاومون. الرابع: تعجبون

وهذه الوجوه جميعها محتملة، والمعاني التي تحتملها العبارة تعتبر مُرادة.

ونقل عن الكسائي أنه قال: " (تفكّهون) من الأضداد، تقول العرب: تفكهت أي تنعمت، وتفكهت، أي حزنت "[4].

ويجوز أن يكون معنى (تفكَّهون) المسرّة والفرح، فيكون في الآية تهكّم بهم، ويجوز أن يكون معنى (تفكَّهون) الندم والحزن، وهو من المبالغة في وصف حالهم.

قال ابن عاشور: " فَتَحَصَّلَ أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَارِيًا عَلَى ظَاهِرِ مَادَّةِ فَعَّلَ تَفَكَّهُونَ – أي من المسَرَّة والفرح – وَيَكُونُ ذَلِكَ تَهَكُّمًا بِهِمْ حَمْلًا لَهُمْ عَلَى مُعْتَادِ أَخْلَاقِهِمْ مِنَ الْهُزْلِ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَقَرِينَةُ التَّهَكُّمِ مَا بَعْدَهُ مِنْ قَوْلِهِ عَنْهُمْ (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ). وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَحْمَلُ الْآيَةِ عَلَى جَعْلِ (تَفَكَّهُونَ) بِمَعْنَى تَنْدَمُونَ وَتَحْزَنُونَ، وَلِذَلِكَ كَانَ لِفِعْلِ (تَفَكَّهُونَ) هُنَا وَقْعٌ لا يُعَوِّضُهُ غَيْرُهُ "[5].

وقد أظهر البقاعي أسراراً بديعة لقوله تعالى (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) فقال:

" فأقمتم دائماً تندمون على أفعالكم أو معاصيكم التي سببت ذلك التلف أو تتعجبون أو تحدثون في ذلك ولم تعرجوا على شغل غيره كما تفعلون عند الأشياء السارة التي هي في غاية الإعجاب والملاحة والملاءمة، ولهذا عبر عما المراد به الإقامة مع الدوام بـ(ظل) الذي معناه أقام نهاراً إشارة إلى ترك الأشغال التي تهم ومحلها النهار ويمنع الإنسان من أكثر ما يهمه من الكلام لهذا النازل الأعظم، وحذف إحدى لامي ظل وتاء التفعل من تفكه إشارة إلى ضعف المصابين عن الدفاع في بقائهم وفي كلامهم حال بقائهم الضعيف، وكون المحذوف

---

(1)انظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج 8، ص 198.

(2)الراغب، **المفردات**، ص 644.

(3)انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج 23، ص 139-142.

والماوردي، **النكت والعيون**، ج 5، ص 460.

(4) انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 7، ص 541.والبقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 327.

وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 27، ص 322.

(5)ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 27، ص 323.

عين الفعل وهو الوسط، إشارة إلى خلع القلب واختراق الجوف والقهر العظيم، فلا قدرة لأحد منهم على ممانعة هذا النازل بوجه ولا على تبريد ما اعتراه منه من حرارة الصدر وخوف الفقر بغير الشكاية إلى آماله ممن يعلم أنه لا ضر في يده ولا نفع، ورمبا كان ذلك إشارة إلى أنه عادته سبحانه قرب الفرج من شدائد الدنيا ليكون الإنسان متمكناً من الشكر لا عذر له في تركه، ويكون المعنى أنكم مع كثرة اعتيادكم للفرج بعد الشدة عن قرب تيأسون أول ما يصدمكم البلاء، فتقبلون على كثرة الشكاية، ولا ينفعكم كثرة التجارب لإدرار النعم أبداً "[1].

وقال سعيد حوّى: " جرت عادة قساة القلوب أنهم إذا أصابتهم مصيبة، وذهبت عنهم الصدمة الأولى، أن يتحدثوا عن مصيبتهم بروح النكتة والفكاهة، وعلى هذا يمكن أن تفهم الآيات بأن هؤلاء يتفكهون بذكر ما أصابهم، ويمكن أن يكون المراد بالتفكه التحسر والتفجع... إن دقة التصوير لحال من أصيبت أرضه بحيث تسع تصرفات الناس من خلال استعمال لفظة (تفكهون) التي تفيد أكثر من معنى، وكل معنى يمكن أن يمثل حال فريق من الناس، لمظهر من مظاهر الإعجاز، ولكن الإعجاز الأكبر يتمثل في إقامة الحجة على الكافرين، فهذا الكافر الذي لا يملك من أمر أصل الإنبات شيئاً، والذي لا يملك إذا أصابته الجائحة إلا أن يتحسر ويتفجع، كيف لا يسلِّم بأن الله هو الخالق وهو الرازق، ويبني على ذلك أن يعبد الله ؟ "[2].

(إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) [الواقعة:66] أي إنّا لمعَذَّبون، أو مولع بنا، أو ملقون للشر، أو مهلكون، أو ملزمون غرامة، كلها وجوه ذكرها المفسرون[3]، والآية تحتملها جميعاً.

قال الراغب: " الغُرْمُ: ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير جناية منه، أو خيانة، يقال: غَرِمَ كذا غُرْماً ومَغْرَماً، وأُغْرِمَ فلان غَرَامَةً. قال تعالى: (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) "[4].

(بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) [الواقعة:67]

قال البقاعي: " المحروم: الممنوع عن الخير، ومن لا ينمى له مال، والمحارَف – بفتح الراء – وهو الممنوع من

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 224-225.

(2) سعيد حوّى (ت 1409 هـ)، **الأساس في التفسير**، ج 10، ص 5696-5697، دار السلام، القاهرة، الطبعة السادسة، 1424 هـ.

(3)انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج 23، ص 142-143. والماوردي، **النكت والعيون**، ج 5، ص 461. وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 7، ص 540. والبقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 225.

(4)الراغب، **المفردات**، ص 606.

الخير الذي لا يكاد يكتسب "[1].

المطلب الثالث: إنزال الماء

قال تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) (70) [الواقعة:68-70]

هذا هو الدليل الثالث على وحدانية الله تعالى وقدرته، وهو إنزال الماء من السماء، والماء هو أصل الحياة، وبه قوامها، بل هو أصل لكل شيء، قال تعالى (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) [الأنبياء:30]

قال سيد قطب: " وهذا الماء أصل الحياة، وعنصرها الذي لا تنشأ إلا به كما قدر الله، ما دور الإنسان فيه ؟ دوره أنه يشربه، أما الذي أنشأه من عناصره، وأما الذي أنزله من سحائبه، فهو الله سبحانه، وهو الذي قدّر أن يكون عذباً فكان (لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً)، مالحاً لا يستساغ، ولا ينشئ حياة، فهلاّ يشكرون فضل الله الذي أجرى مشيئته بما كان ؟ "[2].

والماء نعمة عظيمة، توجب على الإنسان شكر الله عليها، ومن نعمته أن جعل الماء عذباً سائغاً، ولو شاء لجعله مالحاً، لا يستطيع إنسان أن يشربه.

قال الشيخ السعدي: " لما ذكر تعالى نعمته على عباده بالطعام، ذكر نعمته عليهم بالشراب العذب، الذي منه يشربون، وأنهم لولا أن الله يسّره وسهّله، لما كان لكم سبيل إليه، وأنه الذي أنزله من المزن، وهو السحاب والمطر، ينزله الله تعالى فيكون منه الأنهار الجارية على وجه الأرض وفي بطنها، ويكون منه الغدران المتدفقة، ومن نعمته أن جعله عذباً فراتاً تسيغه النفوس، ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً مكروهاً للنفوس، لا ينتفع به (فَلَوْلا تَشْكُرُونَ) الله تعالى على ما أنعم به عليكم "[3].

(أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ) [الواقعة:68]

ولما كان الشرب أعظم مقصود للماء، وهو أكثر منافعه، وأعظم نعمة فيه، ذكَّرهم بهذه النعمة (الذي تشربون).

قال البقاعي: " ولما كان منه ما لا يُشرَب، وكانت النعمة في المشروب أعظم، قال واصفاً له بما أغنى عن

---

(1)البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 226.

(2) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 6، ص 3469.

(3)السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص 835.

وصفه بالعذوبة، وبيَّن موضع النعمة التي لا محيد عنها فقال (الذي تشربون) "[1].

وقال أبو السعود: " وتخصيصُ هذا الوصفِ بالذكرِ مع كثرة منافعهِ لأن الشربَ أهمّ المقاصدِ المنوطة به "[2].

(أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ) [الواقعة:69]

المزْن هو السحاب.

قال الراغب: " المزْن: السّحاب المضيء، والقطعة منه: مُزْنَةٌ. قال تعالى (أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ) "[3].

قال البقاعي: " ولما كان عنصره في جهة العلو، قال منكراً عليهم مقرراً لهم (أأنتم أنزلتموه)، ولما كان الإنزال قد يطلق على مجرد إيجاد الشيء النفيس، وكان السحاب من عادته المرور مع الريح لا يكاد يثبت، عبَّر بقوله تحقيقاً لجهة العلو وتوقيفاً على موضع النعمة في إثباته إلى أن يتم حصول النفع به (من المزن) "[4].

وتخصيص المزن بالذكر لأنه أعذب أنواع الماء[5]، ففيه زيادة امتنان، وهو أدل على القدرة والوحدانية.

قال الشوكاني: " أم نحن المنزلون له بقدرتنا دون غيرنا، فإذا عرفتم ذلك، فكيف لا تقرون بالتوحيد وتصدقون بالبعث "[6].

(لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) [الواقعة:70]

الأُجاج هو الماء الشديد الملوحة والحرارة.

قال الراغب: " قال تعالى (هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ) [الفرقان:53]: شديد الملوحة والحرارة، من قولهم: أجيج النار وأَجَّتُهَا، وقد أجّت، وائتجّ النهار. ويأجوج ومأجوج منه، شبّهوا بالنار المضطرمة والمياه

---

(1)البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 226.

(2)أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج 8، ص 198.

(3) الراغب، **المفردات**، ص 766.

(4)البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 226.

(5)انظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج 4، ص 466. والنسفي، **مدارك التنزيل**، ج 3، ص 427.
وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج 8، ص 198.

(6) الشوكاني، **فتح القدير**، ج 5، ص 190.

المتموّجة لكثرة اضطرابهم "[1].

وقال الثعالبي: " والأجاج: أشدّ المياه ملوحة " [2].

وهنا تذكير آخر برحمة الله تعالى، وجزيل نعمه، وعظيم قدرته، وهي ما يستوجب الشكر عليها، والتسليم بالخالق الواحد.

قال البقاعي: " ولما كان الجواب: أنت وحدك فعلت ذلك على غناك عن الخلق، بما لك من الرحمة، وكمال الذات والصفات، قال مذكّراً بنعمة أخرى (لو نشاء) أي حال إنزاله وبعده قبل أن ينتفع به "[3].

وقد تقدَّم الكلام على سبب حذف اللام في قوله تعالى (جعلناه أجاجاً) عند قوله (لجعلناه حطاماً) [الواقعة: 65] فأغنى عن إعادته هنا.

(فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) متعلق بالأكل والشرب، فهو تحضيض على شكر الكلّ، لأن النعمة لا تتم إلا بهما.

قال الرازي: " وَالْأَحْسَنُ أَنْ يُقَالَ: النِّعْمَةُ لَا تَتِمُّ إِلَّا عِنْدَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ... فَلَمَّا ذَكَرَ الْمَأْكُولَ أَوَّلًا وَأَتَمَّهُ بِذِكْرِ الْمَشْرُوبِ ثَانِيًا قَالَ: فَلَوْلا تَشْكُرُونَ عَلَى هذه النعمة التامة "[4].

وقال أبو السعود: " والشرطيتانِ مستأنفتان مسوقتانِ لبيانِ أن عصمتَهُ تعالى للزرع والماءِ عما يُخلُّ بالتمتعِ بهما نعمةٌ أخرى، بعد نعمةِ الإنباتِ والإنزالِ، مستوجبةٌ للشكرِ، فقوله تعالى: (فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ)، تحضيضٌ على شُكرِ الكُلِّ "[5].

المطلب الرابع: إنشاء نار الدنيا

قال تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (72) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ) (73) [الواقعة:71-73]

هذا هو الدليل الرابع من الأدلة على وحدانية الله تعالى وقدرته، وهو إنشاء نار الدنيا، من الشجر الذي أنشأه الله تعالى، قال تعالى (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ)

---

(1)الراغب، **المفردات**، ص 64.

(2) الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت 875هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ج 5، ص 370، تحقيق محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.

(3)البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 227.

(4)الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 29، ص 422-423.

(5) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج 8، ص 198.

[يس:80]، وقال هنا (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ) [الواقعة:71-72].

ولعلّ اكتشاف الإنسان للنار يُعَدُّ أعظم حدث في تاريخ البشرية، منه انطلقت الحضارات والصناعات والمطعومات والمشروبات على اختلاف أشكالها وأنواعها.

قال سيد قطب: " ولقد كان كشف الإنسان للنار حادثاً عظيماً في حياته، ربما كان أعظم حادث بدأت منه حضارته، ولكنها أصبحت أمراً مألوفاً لا يثير الاهتمام، والإنسان يوري النار: أي يوقدها، ولكن من الذي أنشأ وقودها ؟ من الذي أنشأ الشجر الذي توقد به النار؟ لقد مرَّ حديث الزرع، والشجر من هذا الزرع، على أن هناك لفتة أخرى في ذكر «شَجَرَتَهَا»، فمن احتكاك فرع من شجرة بفرع آخر من شجرة أخرى كان العرب يوقدون نارهم، على الطريقة البدائية التي لا تزال مستعملة في البيئات البدائية حتى الآن، فالأمر أظهر وأقرب إلى تجاربهم المعروفة، أما معجزة النار وسرّها عند العلماء الباحثين فهو مجال للبحث والنظر والاهتمام "[1].

(أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) [الواقعة:71]

أي توقِدون، دلَّ عليه قوله تعالى (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) [يس:80] وتخصيص النار بقوله (التي تورون) لإظهار كمال قدرته تعالى، وبيان المقصود من الاستدلال.

قال البقاعي: " ولما كان المراد ناراً مخصوصة توقفهم على تمام قدرته، وتكشف لهم ذلك كشفاً بيّناً، بإيجاد الأشياء من أضدادها فقال (التي تورون) "[2].

وقال ابن عاشور: " وَهُوَ أَيْضًا وَصْفٌ لِلْمَقْصُودِ مِنَ الدَّلِيلِ وَهُوَ النَّارُ الَّتِي تَقْتَدِحُ مِنَ الزَّنْدِلَا النَّارُ الْمُلْتَهِبَةُ "[3]

(أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ) [الواقعة:72]

الإنشاء هو الخلق والإيجاد

قال الراغب: " والإنْشَاءُ: إيجادُ الشيءِ وتربيتُهُ، وأكثرُ ما يقال ذلك في الحَيَوانِ... وقوله (أأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ) [الواقعة:72] فَلِتشبيه إيجادِ النَّارِ المستخرَجة بإيجادِ الإنسانِ "[4].

والتعبير بالإنشاء دون غيره للدلالة على ما في ذلك من بديع الصنعة، وعجيب القدرة، وبالغ

---

(1) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 6، ص 3468-3469.

(2)البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 228.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 27، ص 326.

(4) الراغب، **المفردات**، ص 807.

الحكمة، وللتذكير بأصل إيجاد الإنسان.

قال أبو السعود: " والتعبيرُ عن خلقِها بالإنشاءِ المنبئِ عن بديعِ الصنع المعرب عن كمالِ القُدرةِ والحكمةِ، لما فيه من الغرابةِ الفارقةِ بينها وبين سائرِ الشجر التي لا تخلُو عن النارِ،حتى قيل:(في كل شجرٍ نارٌ واستَمجد المرخَ والعَفار)[1]كما أنَّ التعبيرَ عن نفخِ الروحِ بالإنشاءِ في قوله تعالى(ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَر)[المؤمنون:14]لذلك" [2]

(نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ) [الواقعة:73]الضمير في (جعلناها) عائد على النار.

قال أبو السعود: " (نَحْنُ جعلناها تَذْكِرَةً) استئنافٌ مبينٌ لمنافعِها، أي جعلناها تذكيراً لنارِ جهنَم حيثُ علّقنا بها أسبابَ المعاشِ لينظروا إليها، ويذكروا ما أُوعدوا به من نارِ جهنَم، أو تذكرةً وأنموذجاً من نارِ جهنَم لما رُوي عن النبي عليه الصلاة والسلام: " ناركم هذه التي يوقِدها بنُو آدمَ جزء من سبعين جزءا من حرِّ جهنَم "[3][4].

وعلى الوجهين: التذكرة من الذكر المقابل للنسيان[5].

والمتاع: ما ينتفع به[6]. وأصل القواء: القفر.

قال الراغب: " وسمّيت المفازة قِوَاءً، وأَقْوَى الرّجل: صار في قِوَاءٍ، أي: قفر، وتصوّر من حال الحاصل في القفر الفقر، فقيل: أَقْوَى فلان، أي: افتقر، كقولهم: أرمل وأترب. قال الله تعالى (وَمَتاعاً لِلْمُقْوِينَ) "[7].

اختلف المفسرون في معنى (المقوين) على خمسة أقوال[8]:

---

(1) هذا مثل عند العرب، فقد كانت لهم شجرتان: إحداهما المرخ، والأخرى العفار، إذا أخذ منهما غصنان أخضران، فَحكَّ أحدهما بالآخر، تبايَن من بينهما شرر النار.

انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 6، ص 595.

والميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت 518هـ)، **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،ج 2، ص 74، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(2)أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج 8، ص 198.

(3)رواه الشيخان وغيرهما، وقد سبق تخريجه ص 14.

(4) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج 8، ص 199.

(5) انظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج 14، ص 149.

(6) انظر: الثعالبي، **الجواهر الحسان**، ج 5، ص 369.

(7)الراغب، **المفردات**، ص 694.

(8)انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج 23، ص 144 وما بعدها.والماوردي، **النكت والعيون**، ج 5، ص 461.

أحدها: هم المسافرون. الثاني: المستمتعون بها من المسافرين والحاضرين. الثالث: الجائعون. الرابع: الضعفاء. الخامس: الأغنياء. وقيل: القواء، من الأضداد التي تعني الفقر والغنى[1].

وأكثرُ المفسرين على القول الأول، أي هم المسافرون، وعلى هذا فتخصيصهم بذلك لأنهم أحوج الناس إلى النار، وذلك لأنهم يوقدونها ليلاً لتهرب منهم السباع، ويهتدي بها الضُّلاّل، وغير ذلك من المنافع[2].

ولا مانع عندي من دخول هذه المعاني جميعها في الآية، إذ لا تعارض بينها، ولأنهم جميعاً محتاجون إلى النار، وإيثار هذا اللفظ (للمقوين) ليشمل كل هذه المعاني.

وتقديم التذكرة بالآخرة على المنفعة الدنيوية في قوله (تذكرة ومتاعاً) لمناسبة المقام وهو البعث، وللتنبيه على أن الأهم هو النفع الأخروي.

قال الرازي: " قَدَّمَ كَوْنَهَا تَذْكِرَةً عَلَى كَوْنِهَا مَتَاعًا، لِيُعْلَمَ أَنَّ الْفَائِدَةَ الْأُخْرَوِيَّةَ أَتَمُّ، وَبِالذِّكْرِ أهم "[3].

وقال البقاعي: " وقدَّم من منافعها ما هو أولى بسياق البعث الذي هو مقامه فقال (تذكرة)، أي شيئاً تتذكرونه وتتذكرون به تذكراً عظيماً جليلاً عن كل ما أخبرنا به من البعث وعذاب النار الكبرى، وما ينشأ فيها من شجرة الزقوم، وغير ذلك مما ننيره لأولي البصائر والفهوم من العلوم "[4].

وقال أبو السعود: " وتأخيرُ هذه المنفعةِ للتنبيهِ على أن الأهم هو النفعُ الأخروي "[5].

إن الملاحظ في دليل النار أنه لم يذكر تعالى ما يفسدها، بخلاف الأدلة السابقة، لإفادة الوعد بإظهار رحمته، والوعيد بإظهار قوّته.

قال النيسابوري:" ثم ختم بتذكير النار، وفيه وعد من وجه، ووعيد من وجه. أما الأول:فلأنه لم يبين ما يفسدها كما قلنا ليدل على أن الختم وقع على الرأفة والرحمة.وأما الثاني: فلأن عدم ذكر مفسدها يدل على

والبغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج 5، ص 18. تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ وابن الجوزي، **زاد المسير**، ج 4، ص 227.

(1)انظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 230.

(2) انظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج 5، ص 18.

وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج 8، ص 199.

(3) انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 29، ص 423.

(4)البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 229.

(5)أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج 8، ص 199.

بقائها في الآخرة "[1].

المبحث الثالث: تعقيبات على الأدلة

بعد أن ذكر الله تعالى الأدلة الكونية على وحدانيته وقدرته، أعقبه بذكر ما يستوجب ذلك من تسبيحه وتنزيهه وتعظيمه، وبيان لصدق القرآن الكريم، وأنه تنزيل من رب العالمين.

المطلب الأول: دعوة للتسبيح

قال تعالى (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) (74) [الواقعة:74]

أمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يسبّح الله وينزهه، بعد أن رأى من عجائب الأدلة على وحدانية الله وقدرته، الناطقة بدلائل الإيمان.

قال سيد قطب: " وحين يبلغ السياق إلى هذا الحد من عرض هذه الحقائق والأسرار، الناطقة بدلائل الإيمان، الميسرة للقلوب والأذهان يلتفت إلى الحقيقة التي تنتهي إليها هذه الحقائق، حقيقة وجود الله وعظمته وربوبيته، وهي حقيقة تواجه الفطرة مواجهة ذات قوة وسلطان، فيهيب بالرسول صلى الله عليه وسلم أن يحيي هذه الحقيقة، ويؤدي حقها، ويلمس القلوب بها في حينها (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) "[2].

والأمر وإن كان موجَّهاً للنبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنه يشمل كل من يصلح له الخطاب من المكلَّفين من بعده.

قال ابن عاشور: " وَهَذَا الْأَمْرُ شَامِلٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِقَرِينَةِ أَنَّ الْقُرْآنَ مَتْلُوٌّ لَهُمْ وَأَنَّ مَا تَفَرَّعَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ لَا يَخْتَصُّ عِلْمُهُ بِالنَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُمِرَ بِالتَّسْبِيحِ لِأَجْلِهِ فَكَذَلِكَ مَنْ عَلِمَهُ مِنَ الْمُسلمين. وَالْمعْنَى: إِذْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الدَّلَائِلِ وَتَذَكَّرْتُمْ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ فَنَزِّهُوا اللَّهَ وَعَظِّمُوهُ بِقُصَارَى مَا تَسْتَطِيعُونَ "[3].

وقال أبو حيان: " وَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَوَقَّفَهُمْ عَلَيْهَا، مِنْ أَمْرِ خَلْقِهِمْ وَمَا بِهِ قِوَامُ عَيْشِهِمْ مِنَ الْمَطْعُومِ وَالْمَشْرُوبِ. وَالنَّارُ مِنْ أَعْظَمِ الدَّلَائِلِ عَلَى الْبَعْثِ، وَفِيهَا انْتِقَالٌ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، وَإِحْدَاثُ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ، وَلِذَلِكَ أَمَرَ فِي آخِرِهَا بِتَنْزِيهِهِ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الْكَافِرُونَ، وَوَصَفَ تَعَالَى نَفْسَهُ بِالْعَظِيمِ، إِذْ مَنْ هَذِهِ أَفْعَالُهُ تَدُلُّ عَلَى عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ، وَانْفِرَادِهِ بِالْخَلْقِ وَالْإِنْشَاءِ "[4].

قال الزجّاج: " ولما ذكر ما يدلّ على توحيده وقدرته وإنعامه، قال: (فسبّح): أي برّئ الله ونزّهه عمّا يقولون

---

(1)النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج 6، ص 244.

(2)سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 6، ص 3470.

(3)ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 27، ص 328.

(4)أبو حيان، **البحر المحيط**، ج 10، ص 90.

في وصفه "[1].

وإقحامُ الاسمِ مقروناً بالباء لإفادة التلبُّس والتعظيم.

قال البقاعي: " ولما كان تعظيم الاسم أقعد في تعظيم المسمَّى قال (بِاسْم) أي متلبِّساً بذكر اسم ربّك "[2].

والتعرُّضُ لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام، إيذانٌ بعلوّ التشريف، وإظهارٌ لكمال الإحسان بعد التربية والإنعام.

قال البقاعي: " (ربّك): أي المحسِن بعد التربية إليك بهذا البيان الأعظم، بما خصَّك به مما لم يعطه أحداً غيرك"[3].

ولما كان المقامُ لبيان عَظَمةِ الله تعالى وقُدرته على ما تقدَّم ذكره من الدلائل الكونية، ناسَبَ أن يختم ذلك بالصفة المؤذنة بذلك فقال (العظيم).

قال البقاعي: " ولما كان المقام للتعظيم قال (العظيم)، الذي ملأ الأكوان كلَّها عَظَمة، فلا شيء منها إلا وهو مملوء بعظمته تنزُّهاً عن أن تلحقه شائبة نقص أو يفوته شيء من كمال "[4].

والفاء في قوله (فسبِّح) للدلالة على أن التسبيح مُتَرتِّبٌ على ما قبله من دلائل التوحيد والقدرة والنِّعَم، المستوجبة شكر الله وحده.

قال أبو السعود: " (فسبح باسم ربك العظيم) لترتيب ما بعده على ما عُدِّد من بدائعِ صنعهِ تعالَى، وروائعِ نعمِه، الموجبةِ لتسبيحهِ تعالى، إما تنزيهاً له تعالى عما يقوله الجاحدون بوحدانيته، الكافرون بنعمتِه، مع عظمِها وكثرتِها، أو تعجباً من أمرِهم في غمطِ تلك النعمِ الباهرةِ، مع جلالةِ قدرِها وظهورِ أمرِها، أو شكراً على تلك النعمِ السابقة، أي فأحدِثْ التسبيحَ بذكرِ اسمِه تعالى، أو بذكرِه، فإن إطلاقَ الاسم للشيء ذكرٌ له، والعظيمُ صفةٌ للاسمِ أو الربِّ "[5].

المطلب الثاني: صدق القرآن الكريم

قال تعالى (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ

---

(1)الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، ج 5، ص 115، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408 هـ.

وانظر أيضاً: ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج 4، ص 227.

(2)البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 232.

(3) البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 232.

(4) البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 232.

(5)أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج 8، ص 199.

(77) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (80) [الواقعة:75-80]

بعد أن ذكر الأدلة على الألوهية والبعث والجزاء، أعقب هذا بذكر الأدلة على صدق القرآن الكريم، وأقسم على هذا بما يرونه في مشاهداتهم من مساقط النجوم، تعظيماً لشأن القرآن الكريم أنه تنزيل من ربّ العالَمين[1].

قال البقاعي: " ولما كان من العظمة الباهرة ما ظهر في هذه السورة من أفانين الإنعام في الدارين، وبدأ بنعمة الآخرة لكونها النتيجة، ثم دلَّ عليها بإنعامه في الدنيا فكان تذكيراً بالنعم لتشكر، ودلالة على النتيجة لتذكر، وفي كل حالة تستحضر فلا تكفر، فوصلت الدلالة إلى حد هو أوضح من المحسوس، وأضوأ من المشموس، وكان مع هذه الأمور الجليلة في مظهر أعجز الخلائق على أن يأتوا بمثله من كل وجه... فلذلك سبَّب عن هذه الأدلة الرائعة والبراهين القاطعة قوله (فلا أقسم) "[2].

والمناسبة واضحة بين المقسَم به وهو النجوم، وبين المقسَم عليه وهو القرآن، لأن النجوم تضيء الظلمات، وآيات القرآن تنير الطريق، وتبدد ظلمات الجهل والضلالة، والأولى ظلمات حسّيّة، والثانية ظلمات معنوية[3].

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) [الواقعة:75]

اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى (فلا أقسم) على خمسة أوجه[4]:

أحدها: أن (لا) مزيدة لتأكيد القَسَم، والمعنى فأقسم. الثاني: أنها لام القَسَم، فأُشبِعَت الفتحة فتولَّد منها ألف. الثالث: أن (لا) حرف نفي، وأن المنفي تقديره: فلا حجّة لما يقوله الكفار، ثم استأنف كلامه فقال (لا أقسم). الرابع: أن (لا) نافية للقَسَم. الخامس: أن (لا) بمعنى (ألا) للتنبيه.

الراجح من هذه الأوجه عندي هو الوجه الثاني، وهو أن اللام في قوله (فلا أقسم) هي لام القَسَم، فأشبعت

---

(1) انظر: المراغي، **التفسير**، ج 27، ص 149.

(2) البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 232-233.

(3)انظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج 27، 279.

(4) انظر: الماوردي، **النكت والعيون**، ج 5، ص 462.والرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 29، ص 425.
والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 17، ص 223.وابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج 18، ص 428.
والبيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج 5، ص 182.والشوكاني، **فتح القدير**، ج 5، ص 192.

الفتحة فصارت ألفاً للمبالغة، ويؤيده قراءة الحسَن (فلأُقسِمُ)[1]، وهي وإن كانت قراءة شاذة إلا أنه يُحتجُّ بها في اللغة والتفسير.

ورجّح هذا الوجه أبو حيان في تفسيره فقال: " وَالْأَوْلَى عِنْدِي أَنَّهَا لَامٌ أُشْبِعَتْ فَتْحَتُهَا، فَتَوَلَّدَتْ مِنْهَا أَلِفٌ، كَقَوْلِهِ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَقْرَابِ– أي بإشباع فتحة الراء ألفاً – وَهَذَا وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا، فَقَدْ جَاءَ نَظِيرُهُ فِي قَوْلِهِ: (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ) [إبراهيم:] بِيَاءٍ بَعْدَ الْهَمْزَةِ، وَذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ هِشَامٍ "[2].

أي: أفئيدة، أشبعت الكسرة فأصبحت ياءً، لغرض المبالغة على لغة المشبِعين من العرب، وهي قراءة هشام عن ابن عامر[3].

أما الوجه الأول: وهو أن (لا) مزيدة لتأكيد القَسَم، فهو وإن كان أكثرَ قول المفسرين، إلا أنه لا يصار إلى القول بزيادة حروف القرآن، مع وجود وجه يمكن تخريج الآية عليه دون القول بالزيادة، وقد أمكن ذلك على الوجه الثاني

أما الوجه الثالث: فهو بعيد، لأن حذف اسم (لا) وخبرها غير جائز، كما قال أبو حيان وغيره[4].

أما الوجه الرابع: فأبعد منه، ويردّه قوله بعده (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم).

أما الوجه الخامس: فضعيف من حيث اللغة، إذ لا تأتي (لا) بمعنى (ألا) التي للتحضيض.

قال الشوكاني عن هذا الوجه: " وهو بعيد "[5].

(بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) اختلف المفسرون في معنى (النجوم) على قولين[6]:

أحدهما: نجوم السماء، قاله أكثر المفسرين.

الثاني: القرآن الكريم.

---

(1) انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، ج 2، ص 309، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، 1420هـ.

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج 10، ص 91.

(3) انظر: ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833 هـ)، **النشر في القراءات العشر**، ج 2، ص 299، تحقيق علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتب العلمية.

(4) انظر: أبو حيان، **التفسير المحيط**، ج 10، ص 91.

(5)الشوكاني، **فتح القدير**، ج 5، ص 192.

(6) انظر: الماوردي، **النكت والعيون**، ج 5، ص 462.والبغوي، **معالم التنزيل**، ج 5، ص 19.
وابن الجوزي، **زاد المسير**، ج 4، ص 227.والرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 29، ص 426.
والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 17، ص 224.وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 7، ص 543.

والراجح هو القول الأول، لأنه قول أكثر المفسرين، ولأن هذا المعنى هو الشائع في استعمال القرآن الكريم، ويؤيّد أن المقصود بها نجوم السماء ما ورد في سبب نزول هذه الآيات.

فقد أخرج مسلم في صحيحيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا " قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) [الواقعة: 75]، حَتَّى بَلَغَ: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) [الواقعة: 82] "[1].

والمراد بمواقع النجوم: مساقطها أو منازلها في السماء، وتخصيصها بالقسم لإظهار عظمة الله وكمال قدرته ورحمته وحكمته.

قال أبو السعود: " (بمواقع النجوم) أي بمساقطِها وهي مغاربُها وتخصيصُها بالقسم لما في غروبها من زوالِ أثرِها والدلالةِ على وجودِ مؤثرٍ دائمٍ لا يتغيرُ أو لأن ذلكَ وقتُ قيامِ المتهجدينَ والمبتهلينَ إليه تعالى وأوانُ نزولِ الرحمةِ والرضوانِ عليهم أو بمنازلها ومجاريها فإنَّ له تعالَى في ذلك من الدليل على عظمِ قُدرتِه وكمالِ حكمتِه مالا يحيطُ به البيانُ "[2].

(وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) [الواقعة:76]

وهذا اعتراض في اعتراض، أما الاعتراض الأول فقوله (وإنه لقسم) اعتراض بين القسم، وهو قوله (فلا أقسم بمواقع النجوم) وبين المقسم عليه، وهو قوله (إنه لقرآن كريم). وأما الاعتراض الثاني فقوله (لو تعلمون) اعتراض بين الصفة، وهو قوله (لقسم) وبين الموصوف، وهو قوله (عظيم).

وفائدة هذه الاعتراضات المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القَسَميّة وتأكيده، وإظهار كمال قدرته تعالى، وإحكام صنعته.

قال البقاعي: " ولمثل هذه المعاني الجليلة، والخطوب العظيمة جعل في الكلام اعتراضاً بين القسم وجوابه، وفي الاعتراض اعتراضاً بين الموصوف وصفته تأكيداً للكلام، وهزاً لنافذ الأفهام، تنبيهاً على أن الأمر عظيم، والخطب فادح جسيم، فقال موضحاً له بالتأكيد رحمة للعبيد بالإشارة إلى أنهم جروا على غير ما يعلمون من عظمتنا فعدوا غير عالمين: (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) "[3].

وجواب (لو) إما متروكٌ أريدَ به نفيُ علمِهم، أو محذوفٌ ثقةً بظهورِه أي لعظمتوه أو لعملتُم

---

(1)مسلم، **صحيح مسلم**، ج 1، ص 84، ح 127.

(2)أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج 8، ص 199.

(3)البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 235.

بموجبه[1]

(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) [الواقعة:77]

هذا هو المقسَم عليه، وقد وصف الله القرآن بأوصاف كثيرة، ووصفه هنا بأنه كريم، وفيه خمسة أوجه [2]:

أحدها: لأن الله جعله معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم. الثاني: كريم على المؤمنين، لأنه كلام ربهم، وشفاء صدورهم، كريم على أهل السماء، لأنه تنزيل ربهم ووحيه. الثالث: لأنه غير مخلوق. الرابع: لما فيه من كريم الأخلاق ومعاني الأمور. الخامس: لأنه يكرّم حافظه، ويعظّم قارئه.

وزاد الرازي وجهاً آخر فقال: "كَرِيمٌ: أَيْ لَا يَهُونُ بِكَثْرَةِ التِّلَاوَةِ وَيَبْقَى أَبَدَ الدَّهْرِ كَالْكَلَامِ الْغَضِّ وَالْحَدِيثِ الطَّرِيِّ "[3].

قلت: وجميع هذه الأوجه صحيحة، لأن الكريم اسم جامع لكل صفات المدح للقرآن.

(فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ) [الواقعة:78]

اختلف المفسرون في المقصود بالكتاب هنا على ثلاثة أقوال[4]:

أحدها: أنه اللوح المحفوظ، وهو قول أكثر المفسرين.الثاني: أنه المصحف.الثالث: الكتب المنزلة، التوراة والإنجيل والزبور، فيها ذكر القرآن.

والراجح أنه اللوح المحفوظ، لقوله تعالى (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) (22) [البروج:21-22]، ولأنه قول أكثر المفسرين، ولأن وصف (مكنون) ألصق باللوح المحفوظ، كما سيأتي.

(لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) [الواقعة:79]

اختلف المفسرون في معنى هذه الآية، وسبب اختلافهم هو الضمير في قوله (لا يمسه) على ماذا يعود، على قولين[5]:

---

(1)انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 29، ص 426.وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج 8، ص 200.

(2)انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 17، ص 224.

(3) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 29، ص 429.

(4)انظر: الماوردي، **النكت والعيون**، ج 5، ص 463.وابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج 5، ص 251.
والرازي، **مفاتيح الغيب**، ج29، ص 430.والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 17، ص 224.
والنيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج 6، ص 245.

(5) انظر: الماوردي، **النكت والعيون**، ج 5، ص 464.
وابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت 543هـ)، **أحكام القرآن**، ج 17، ص 225، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1424 هـ.

أحدهما: أنه يعود على الكتاب المكنون، وهو اللوح المحفوظ، وعلى هذا فيكون المقصود بقوله (إلا المطهَّرون) هم الملائكة، وتكون (لا) في قوله (لا يمسّه) للنفي. الثاني: أنه يعود على القرآن الكريم، وعلى هذا فيكون المقصود بقوله (إلا المطهرون) هم المكلَّفين من بني آدم، وتكون (لا) في قوله (لا يمسّه) خبراً معناه النهي.

والراجح عندي القول الأول، أي أن الضمير في قوله (لا يمسه) عائد إلى اللوح المحفوظ، والمقصود بالمطهَّرين هم الملائكة، و(لا) في قوله (لا يمسه) للنفي.

وإنما رجَّحت هذا القول للأسباب الآتية:

أولاً: لأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور، وأقرب مذكور هنا هو الكتاب المكنون، وهو اللوح المحفوظ.

ثانياً: لأن ما نزلت الآيات لأجله هو لنفي زعم المشركين أن الشياطين تنزَّلت بالقرآن، وإنما نزلت به الملائكة المطهَّرون. قال ابن كثير: " وقال ابن زيد: زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (210) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (211) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ) (212) [الشعراء: 210-212]، وهذا القول قول جيد "[1].

وقال سيد قطب: " فقد زعم المشركون أن الشياطين تنزلت به، فهذا نفي لهذا الزعم، فالشيطان لا يمس هذا الكتاب المكنون في علم الله وحفظه، إنما تنزل به الملائكة المطهرون، وهذا الوجه هو أظهر الوجوه في معنى «لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ». ف «لا» هنا نافية لوقوع الفعل، وليست ناهية، وفي الأرض يمس هذا القرآن الطاهر والنجس، والمؤمن والكافر، فلا يتحقق النفي على هذا الوجه، إنما يتحقق بصرف المعنى إلى تلك الملابسة، ملابسة قولهم: تنزلت به الشياطين. ونفي هذا الزعم إذ لا يمسه في كتابه السماوي المكنون إلا المطهرون "[2].

ثالثاً: لأن هذه الآيات بمنزلة الآيات التي في سورة عبس.

قال الإمام مالك: " أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ فِي هَذِهِ الآيَةِ (لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) أنها بِمَنْزِلَةِ الآيَةِ الَّتِي فِي (عَبَسَ وَتَوَلَّى)، قَالُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (11) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (12) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍ بَرَرَةٍ) (16) [عبس:11-16] "[3].

وقال القرطبي بعد أن ذكر قول الإمام مالك السابق: " يريد أن المطهرين هم الملائكة الذين وصفوا بالطهارة

---

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 7، ص 544.

(2) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 6، 3471.

(3) مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت 179هـ)، **الموطأ**، ج 1، ص 91، ح 237، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1412 هـ.

في سورة (عبس) "[1].

رابعاً: لأن السورة مكية، وأغلب عناية القرآن المكي في أصول الدين من تقرير التوحيد والمعاد والنبوة، وأما الأحكام الفرعية ففي القرآن المدني، وعلى هذا فليس المقصود بالمطهرين هم المكلَّفين من الآدميين، وإنما المقصود بهم الملائكة[2].

خامساً: لأن قوله (مَكْنُونٍ) معناه: مَصُون مستور عن الأعين، لا تناله أيدي البشر، ولو أريد به المصحف الذي بأيدينا لم يكن وصفه بكونه مكنوناً فائدة كبيرة[3].

سادساً: لأنه لو كان المراد نفي الحَدَث لقال: لا يمسّه إلا المتطهِّرون، أو المطَّهَّرون، بتشديد الطاء والهاء، والقراءة المشهورة الصحيحة (المطَهَّرون) من التطهير، لا من الإطهار، وهذه صفة الملائكة في القرآن[4].

ولما ثبت ترجيح هذا القول بأن المقصود بقوله (لا يمسه) هو اللوح المحفوظ، وأن المقصود بقوله (إلا المطهرون) هم الملائكة، لم يبق متمسَّك بهذه الآية لتحريم مسّ القرآن أو قراءته على المحدِث، وإنما التحريم إن ثبت يكون بالسنة النبوية فقط، وهذا محلُّه كتب الفقه وشروح الأحاديث.

قال أبو حيان:"وَذَكَرُوا هَنَا حُكْمَ مَسِّ الْمُصْحَفِ، وَذَلِكَ مَذْكُورٌ فِي الْفِقْهِ، وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى منع ذلك "[5].

(تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الواقعة:80]

بعد أن بيَّن الله تعالى منزلة القرآن الكريم بأن حفظه، ونفى عنه كلّ ما قاله المشركون من أنه تنزَّلت به الشياطين، بيَّن أنه تنزيل من ربِّ العالَمين، ليدلّل بذلك على وحدانيته تعالى، وعظمته البالغة.

قال البقاعي: " ولما ذكر الذي منه صيانته، أتبعه شرفه بشرف منزله وإنزاله على حال هو في غاية العظمة، مسمياً له باسم المصدر للمبالغة، ولأن هذا المصدر أغلب أحواله، ولذلك غلب عليه هذا الاسم (تنزيل) أي وصوله إليكم بالتدريج بحسب الوقائع والتقريب للأفهام، والتأني والترقية من حال إلى حال "[6].

والتعرُّض لعنوان الربوبية في قوله (من رب العالمين) لإظهار رحمته بالمؤمنين، وإبراز كمال المنَّة

---

(1) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 17، ص 225.

(2) انظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج 27، ص 280.

(3) انظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج 27، ص 280.

(4) انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 29، ص 433.

(5)أبو حيان، **البحر المحيط**، ج 10، ص 93.

(6)البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 239.

بتربيتهم ورعايتهم بإنزال القرآن الكريم.

قال البقاعي: " ولما كان هذا في غاية الاتفاق واليسر، ذكر من صفاته ما يناسبه فقال (من رب العالمين) من الخالق العالم بتربيتهم "[1].

هذا ما تيسَّر لي من تفسير للأدلة على وحدانية الله تعالى وقدرته من خلال سورة الواقعة، وبالله التوفيق.

الخاتمة

أختم بحثي (**الأدلة الكونية على وحدانية الله وقدرته من خلال سورة الواقعة**) بأهم النتائج التي توصلت إليها:

- كَثُر حديث القرآن الكريم عن وحدانية الله تعالى، وبيان مظاهر قدرته في الكون، وتنوّعت أساليبه، وتعددت وسائله، مما ينبئ عن أهمية هذا الموضوع.
- سورة الواقعة سورة مكية، سميت بذلك لتحقق وقوعها، ولكثرة ما يقع فيها من شدائد، واسمها هذا توقيفي، لم يعرف لها اسم غيره.
- وردت في هذه السورة أحاديث وروايات وآثار، منها ما هو صحيح، وكثير منها غير صحيح.

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، ج 19، ص 239.

- إن الموضوع الأبرز الذي تعالجه السورة هو قضية البعث، وذكر الأدلة على وحدانية الله تعالى، وبيان مظاهر قدرته في الكون، بالإضافة إلى ذكر مشاهد من أحداث يوم القيامة، والحديث عن أصناف الناس في الدنيا، وذكر مصائرهم في الآخرة.
- والملاحظ أن الأدلة المذكورة على وحدانية الله تعالى هنا هي مما لا يستطيع العاقل إنكارها أو التشكيك فيها، لأنها قضايا كونية كبرى من جهة، ولأنها من مألوفات البشر المحسوسة في واقع حياتهم اليومية من جهة أخرى، يشاهدها ويحس بها كل إنسان مهما كانت طبقته ومنزلته وثقافته. وهذه الأدلة هي: خلق الإنسان، وإنبات الزرع، وإنزال الماء، وإنشاء نار الدنيا.
- ويلاحظ هنا أيضاً حُسن الترتيب في ذكر هذه الأدلة، فجاءت في ترتيب بديع، وتركيب بليغ، حيث بدأ سبحانه بذكر خلق الإنسان، لأن النعمة فيه أصل النعم جميعها، ثم أعقبه بذكر ما فيه قوام الإنسان، وهو إنبات الزرع، وذكر من المأكول الحَبّ لأنه الأصل، ثم أعقبه بذكر ما فيه حياته، وهو إنزال الماء، وذكر من المشروب الماء لأنه الأصل، وختم بالنار التي فيها ما يصلح طعامه وشرابه ومتاعه، ودخل في كل واحد من هذه الأدلة ما هو دونه.
- وبعد أن ذكر الله تعالى هذه الأدلة، أعقبها بذكر ما يفسدها، تذكيراً بالبعث بعد فسادها، وإظهاراً لقدرته، وتحقيقاً لوحدانيته، فبعد أن ذكر دليل خلق الإنسان، أعقبه بذكر ما يفسده وهو الموت، وبعد دليل إنبات الزرع أعقبه بذكر الحطام، وبعد دليل إنزال الماء أعقبه بذكر الأجاج، أما نار الدنيا فلم يذكر ما يفسدها لإفادة الوعد بإظهار رحمته، والوعيد بإظهار قوّته.
- إن هذه الأدلة بمجموعها تستهدف بناء العقيدة الصحيحة في النفوس، ويستدل بها على وحدانية الله تعالى، وأنه المتفرّد بالألوهية، المستحق للعبودية وحده.
- وهي كفيلة بأن يسلّم الإنسان أمره إلى الله، فيسبّحه وينزّهه عن كلّ عيب ونقص.
- وهي كفيلة أيضاً بالاستدلال على صدق القرآن الكريم، وأنه تنزيل من رب العالمين.

أسأل الله تعالى أن يتقبَّل منّي هذا العمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع والمصادر

1. ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت 637هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
2. أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ.
3. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ)، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، مكتبة المعارف، الرياض، 1425 هـ.
4. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ)، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة** ، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1412 هـ.
5. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ)، **ضعيف أبي داود**، مؤسسة غراس، الكويت، الطبعة الأولى، 1423 هـ.

6. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.
7. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت 256 هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ .
8. البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ .
9. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
10. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
11. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني أبو بكر البيهقي (ت 458هـ)، **شعب الإيمان**، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، 1423 هـ.
12. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت 875هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
13. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف (ت 833 هـ)، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتب العلمية.
14. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، 1420هـ.

15. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.
16. الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت 405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 هـ.
17. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي، أبو حاتم الدارمي البُستي (ت 354هـ)، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1414 هـ.
18. أبو حيان، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ
19. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت 275هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430هـ.
20. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ.
21. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ)، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420 هـ.
22. الرازي، أبو بكر زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد المحسن بن عبد القادر الرازي (ت 666 هـ)، **تفسير الرازي المسمى أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل**، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1411 هـ.
23. الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ.
24. زاده، محيي الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي شيخ زاده، **حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ.
25. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408 هـ.

26. الزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، 1418 هـ.
27. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ
28. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ
29. أبو السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ) ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
30. سعيد حوّى (ت 1409 هـ)، **الأساس في التفسير**، دار السلام،القاهرة، الطبعة السادسة، 1424 هـ
31. سيد قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت1385هـ)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، 1412 هـ.
32. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الفكر، بيروت.
33. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر، بيروت، 1415 هـ.
34. الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر الشهاب الخفاجي، **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ .
35. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1414 هـ.
36. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج 23، ص 139، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ.
37. ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ.

38. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.
39. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ)، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري، الناشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387 هـ.
40. العجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (ت 1162هـ)، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، تحقيق عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 1420هـ.
41. ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت 543هـ) **أحكام القرآن**،تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1424 هـ
42. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت505هـ)، **منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين**، تحقيق محمود مصطفى حلاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1409 هـ.
43. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ .
44. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ
45. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ.
46. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ.
47. مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت 179هـ)، **الموطأ**، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1412 هـ.

48.الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت 450هـ)، **النكت والعيون**، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت

49.المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت 1371هـ)، **تفسير المراغي**، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، 1365 هـ.

50.مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)**، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

51.المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (ت 656هـ)، **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ.

52.الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت 518هـ)، **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

53.النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت710هـ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ .

54.النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت 850هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق الشيخزكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ

55.الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت 468هـ)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1415 هـ.